رواية

لستُ شرقية

إسراء أبو عاصي

تصميم الغلاف : عبدالله جمال

قهوة ٨ غرب
للنشر الإليكتروني

لست شرقية

" رواية "

إسراء أبو عاصي

لســـت شرقيـــة

اسم الكاتب : إســـراء السيـــد أحمـــد أبوعاصـــى .

البريد الإلكترونى: esraa_aboassy٩٠@yahoo.com

حساب الفيس بوك: esraa.aboassy@facebook.com

إسم الرواية: لست شرقية .

المراجعة اللغوية والنقدية والقراءة النقدية : إكرام الأنوار ، أصالة عثمان ، هند سعد الدين ، سها صبري .

تصميم الغلاف والتنسيق الداخلي : عبدالله جمال

الناشر : قهوة ٨ غرب للنشر الإليكتروني .

الاهـــداء

إلي الحالمين.. إلي من أوقفتهم يد الحياة القاسية في أماكن ليست بأماكنهم.

إلي من إنغمست قلوبهم في كؤوس أحلامهم حتي غابت عقولهم وانسحبت من صخب الحياة.

إلي من فضحهم الشوق إلي حلم غائب.. لا يعرفون له طريقا يسلكوه.

تورطوا بأحلامكم أكثر مهما سخر من هذيانكم العاقلون.

إلي علا والهام ودعاء..

إلي سلمي وأيات وسمية وعبير .. أنتم نجومي في ليال حسبت الفجر هزم أمامها منذ زمن.

إسراء أبوعاصي

بخطي واهنة وقلب مترقب تقدمت.. أتحسس جدارا واهنا أفقدته الوحدة صلابته.. فزعة لا أعرف أين أنا وكيف جئت..لمحت شعاعا من بعيد يتسلل علي إستحياء .. أسرعت لألحق به فانسحب مسرعا كأنما رأي شبحا في الظلام.. هرولت نحوه فاشتبك ثوبي في شئ أجهله.. أمسكت به لأخلصه فانقطع.. إبتعدت لأنقذ ما تبقي منه فانقطع أكثر ..تخبطت فزعة حتي أصبحت عارية.

انبعثت منى رائحة الخوف حتى تمكنت من تلابيبى فركعت على الأرض وهنا هالنى انسحاب الأرض من تحتى.

كنت أراقب انسحابها بفزع.. مددت يدى خلفى ليعيننى الجدار على دهشتى.. مددتها فى كل اتجاه.. لاشئ.. نظرت خلفى فلم أجد الجدار فصرخت.. أين الجدار؟. أين الأرض؟. أين السماء؟

التقطت عينى شبحا ساكنا فى الجوار.. متكوم على نفسه يكسوه السواد..

ناديته فضاع صوتى فى الهواء .. اتسعت عيناى وهو يرفع رأسه المدفونة بين قدميه.

رأيت وجهه ثم وجهها.. انتظرت فزعة وأنا أرى تقلب الوجوه.

صرخت ما كل هذه الوجوه .. ألم ترحلوا عنى منذ زمن بعيد؟!

فأجابتنى عينيها اللائمة.. لم أرحل منى الا لأذهب اليك.. بإرادتك تركتنى فى الجزء الخفى منك ونسيتنى.

سقطت مرة أخرى.. سقطت بعيدا.. مددت يدى اليها أطلبها لتعيدنى.

ولما أدارت ظهرها.. أغمضت عينى مستسلمة وتركتنى أذوب فى الكون حتى يبتلعنى.

إنتفضت من موتتى فوجدت رأسى مرتاحة بين أضلعها تسمح بكفها كتفى، الخدر ينسكب بأوردتى.

رفعت عينى إليها فإبتسمت لى فانغمست بها أكثر ومددت قدمى وتركت الخدر يملأنى.

هذا ما رأيته يا أمى.. انتظرت لتجيبنى فلم تجب فوضعت كفها علي كتفها وقالت : أمي.. ما بك لم الشرود؟.. هل سمعتي ما قلته.

نظرت لها نظرة طويلة وقالت بتردد : نعم.

إستغفرت ربها وتناست.. رافقتها صديقتها المنتظرة اسفل المنزل الى الجامعة..قطعتا الطريق نفسه إلى الجامعة

تثرثران عما حدث لكل واحدة منهما البارحة ، انشغلت بمزاحهم معا عما رأته حتى وصلتا الجامعة.

انقضى يومها الدراسى رتيبا كما هو دائما.. لا شئ جديد تحضر المحاضرات لا لأنها تحب أن تحضر ولكن رضوخا لصوت ضميرها الملح دائما ولتقضى أكبر فترة ممكنة مع مريم.

ساهمة كانت تسترجع حالتها والأرض تنطوى تحت قدميها حتى

رن هاتفها.

★ أمى ساعة وساكون فى البيت..هل تريدىن شيئ؟.★

على الجهة الأخرى حادثتها حذرة: هل مر اليوم بسلام.

ابتسمت: نعم لماذا تسألين؟.. هل ما زلتى قلقة بشأن ما حدثتك عنه فى الصباح؟.. ضحكت ثم تابعت.. أمى أعرف أنك تنشغلين بتفسير

الأحلام وأنك تعتبريها إشارات من الله ولكن ما أدراك أنه منام..

هو مجرد حلم لا تقلقى.

-إذن احرصى وأنت فى طريقك ولا تتأخرى.

أنهت المكالمة.. ضحكت من خوف أمها الزائد وانتظرت صديقتها وذهبتا معا.

كانت ممسكة بيدها كما تعودت دائما تسير معها بخطى بطيئة لتظل برفقتها وقتا أطول ، تتحدث كل منهما عما يشغلها.. حلما تريد تحقيقه، شيئا تخافه، صديقة لديها مشكلة وأخرى فرحة هذه الأيام أكثر مما مضى ، حتى جذبها منظر الأوراق المتساقطة فنظرت الى أعلى فوجدت الشجرة التى تعودت فى صغرها أن تلعب مع مريم بجوارها أو تجلس كل منهما أسفلها تقرأ رواية أعجبتها ، وجدتها عارية تماما من أوراقها وحدها الأفرع تخرج من ساقها، عارية وحيدة بعد سقوط الأوراق التى تؤنسها.

قالت : مريم،الشجرة سقطتت كل أوراقها وأشارت نحوها فردت الأخرى وهى تنظر لموضع يدها : الخريف قد هلت بشائره.. من الطبيعى أن تسقط .

فى البيت وجدت والدها بمكتبه يقرأ.. القت السلام وهمت بالانسحاب لغرفتها لئلا تقطع عليه خلوته.

حلم أين الكاميرا.. سألها والدها فالتفتت اليه قائلة : الكاميرا ! فى نفس المكان الذى تضعها به دائما.. لماذا ؟.

مجرد سؤال.. اقترب منها وقبل جبينها .. بدلى ملابسك لنتناول الغداء معا ثم تكملى مذاكرتك.

ابتسمت له حائرة وذهبت.

شهقت شهقة أخرجتها من نومها..انفاسها متسارعة ودقات قلبها تكاد تمزق أضلعها.. سعلت كثيرا واستعاذت بربها ومسحت بكفها وجهها وقامت تتوضأ لتصلى.

أسرعت الخطى الى المدرج حيث تتلقى المحاضرة الأولى قبل أن تتأخر أكثر وتمنع من الحضور.

وصلت فى الوقت المناسب، جالت بعينيها تفتش عن مريم فوجدتها تلوح لها فى الصف الثالث.. اقتربت وجلست بجوارها.

سألتها: لماذا تأخرتى؟.

وقبل أن تتمكن من الاجابة دخل المحاضر وبدأ الشرح .. استفاقت من شرودها على يد مريم تهزها من كتفها وتقول : مابك؟ وتشير بعينها نحو المحاضر.

نظرت اليه بدورها فقال: ماذا كنت أقول؟.

وقفت تنظر اليه وقد بلغ منها الاحراج مبلغه فأشار بيده أن اجلسى

وأكمل: الكل ينتبه لما أقول.

ابتلعت ريقها ونظرت الى مريم الجالسة بجوارها ثم نظرت نحوه لتركز فيما يقول مخافة أن يوقفها ويسألها ثانية.

بعد انتهاء المحاضرة، ابتسمت مريم فضربتها بيدها ضربة خفيفة قائلة: تبتسمى.

ضحكت مريم : الى أين ذهب خيالك ؟ .. لم أستطع كتمان ضحكى عندما رأيت تعابير وجهك وأنت تنظرين اليه.. الرجل لم يتفوه بكلمة عندما رآكى بهذه الحالة كنت أحسبه سيدخل فى نوبة ضحك ولكنه تماسك.

ضحكت على حديثها وقالت : هم يبكى وهم يضحك.

مريم: هيا بنا نخرج لتحدثينى عما يشغلك لن نكمل محاضرات اليوم.

رافقتها الى الدور الأول وهى تقص عليها الحلم الذى راودها الليلة فضحكت مريم : كل هذا الشرود تأثرا بحلم ؟! حدثت نفسى أن مصيبة حدثت..

_ وهل هذا حلم يمر مرور الكرام.. كلما تذكرت انسحاب الأرض وسقوطي من السماء أرتعب.. ثم ما معني سقوط أوراق الشجرة التي نستظل بها وما مغزي حديثك عن حلول الخريف وسؤال أبي عن الكاميرا.

فركت جبينها وقالت : أكاد أجن فقد تكرر الحلم مرارا.

قالت مريم: كل هذا الكلام قيل في حلم، لا تعاملينه علي أنه حقيقة .. لا تفكرى كثيرا مشيئة الله سوف تقع مهما فكرتى

فسلمى أمرك اليه.. ابتسمت وأمسكتها من ذراعها وقالت: هيا بنا نذهب.

هبطت الدرج المؤدى الى الساحة.. رفعت عينها.. تابعت السير.. خطوة.. خطوتين.. رفعتها ثانية اليه..ابتلعت ريقها.. تسمرت عينها عليه.

كان سقوطها فى هوة عميقة كتساقط النجوم من أفلاكها صاخبا.

وقفت تنظر اليه وهو يبعثر كرامتها فى الهواء.

ضرب بجسدها النحيل فى حائط عظيم دون أن يمسها..دس به جميع أسلحته دفعة واحدة حتى ركعت دون سقوط.

تسمرت عيناها وتوقف العالم عليه وهو يقف مع أخرى.

وقفت تراقب انسحاب روحها وهو ينتزع ابتسامته من صفحتها ويطبعها على صفحة أخرى. يكومها فى كفه كالورقة ويخنقها ثم يرمى بها بعيدا تأشيرة لدخول مدينة جديدة.

لم تفق من غيبوبتها عن العالم الا عندما تناهى اليها تهامس زميلاتها عما يشاهدوه.. أمسكت بتلابيب نفسها التى كادت تسقط من شدة الألم واتكأت على كرامتها علها تمنعها من السقوط ونظرت اليهم نظرة فارغة كأن شيئا لم يكن.

أخرسهم رد فعلها اللامبالى..نظراتهم تتأرجح بينها وبينه وهو يقف مع أخرى.

نظرة خاوية أرسلتها لمريم عندما جذبتها من ذراعها لتبعدها عن المكان.. سلمت لها أمرها وغرقت فى صخب عارم من تدافع الذكريات التى لم تعرف فيها غيره.

أخذت تقلبها كمن يقلب فى خزانته القديمة ،تلقى كل ما يأتى أمامها بحثا عن لحظات قسى عليها ولو بنظرة ، لطمها على وجهها بأكذوبة ، لحظات ولحظات.

لم تجد منه الا ابتسامته الآسرة ، خوفه الدائم عليها..تذكرت أنه لم يغضب منها يوما ،دائما كان مسامحا.

كل هذا يقتل ولا يخفف شيئا من الصدمة فلو وجدت ما يشينه لفهمت شيئا مما يحدث.

نظرت اليه من بعيد تستنجد به أن يكذب و لكنه لم يفعل.

شيئا انكسر داخلها، شاخت روحها فجأة.. لا تعتق دموعها ولا تمنحهم حرية السقوط.. لم تكن تدرك ما يحدث.. تسير خطوتين وتنظر وراءها اليه مرة أخرى لتقنع نفسها أن ما يمر ليس كابوسا هو الآخر .

دخلت غرفتها، توجهت إلى خزانتها كمن مسته قبيلة من الجن ، هادئة ومنفصلة عن العالم.

أخرجت صندوق كبير به جميع ما جاءها من هدايا منذ صغرها، حملته فانساب من يدها التى هربت أعصابها وضعفت فسقط على قدمها.. انهارت قواها فسقطت على الأرض، جذبته بقربها واتكأت على الخزانة.. فتحته فتنشقت رائحته بكل هدية يحتويها الصندوق، هاجمتها ذكرى كل هدية أهداها اياها، ومن غيره أهداها شيئا!!

التقتطت ورقة مطوية، فضتها من طيتها فوجدت الرسمة كما هى ، بها طفلين متشابكى الأيدى .. الولد يرتدى بذلة سمراء ورابطة عنق حمراء على قميص أبيض والبنت ترتدى فستان زفاف أبيض وتاج على رأسها ، يبتسمان وهما متلاصقان كأنما ترى كيانا واحدا.

لامست الورقة فخانتها أدمعها فسقطتت حرة ،هادئة بقدر هدوء الليل.

تذكرت عندما أعطاها لها فى المدرسة الإبتدائية وهما طفلان لا يعرف أحدهما رفيقا غير الآخر.

وضعتها جانبا بعد أن بللتها الدموع وتأملت عقد قديم صدئ ، نعم أرخص عقد إرتدته ولكنه كان الأغلى إذ إشتراه

لها بعدما وفر مصروف أسبوع وهما فى سن الثانية عشر .. تذكرت عندما رأته أمها فى عنقها بعد مجيئها من المدرسة وسألتها عنه وإبتسامتها عندما عرفت أنه منه.. أمسكت به وارتدته وهى تبكى وتبتلع دمعها .

إحتضنت الصندوق كمن يحتضن غائبا لم يره منذ عقود .. قربته من أضلعها حتى آلمها فقربته أكثر لتشعر بما فعله بها.

فجأة أفرغت الصندوق على الأرض، تسارعت أنفاسها وكادت تختنق فألقت به بعيدا وهى تصرخ وتبكى بحرقة .
لطالما تحدثوا عن قلبها القوى الذى لم يتأثر كثيرا ..لم يعلموا أن قلبها كان أضعف شئ على وجه الأرض، لو ألقى بكلمة واحدة لتهشم وملأ جسدها ببقاياه.

لم تبكيه الا أمام مريم وحدها كانت تتفهم صمتها..كانت تمس على قلبها خوفا عليه من الكسر.

كانت متخبطة: عشقته وكرهته ، سامحته ولم تسامحه ، أرادت ألف مرة أن يحب.. يعشق ،يذوب حتى الثمالة ثم يستيقظ على ضربة موجعة ممن أحب ولا يفرغ قلبه من الصراخ والأنين على روحه التى سلبتها الخيانة ليشعر بما فعله معها فتركها كقطعة القماش الخرأة التى ترمى بعيدا ولا يأبه لها أحد.

تمنت الكثير: بأن يأتيها ليعتذر ولا يكفيها شيئا الاعتذار..تمنت ولكنها مع كل أمنية كانت تستغفر لها وله.
تعاتب قلبها الذى احب على كل هذه المتناقضات .

مرت الأيام وأخذ ذكره يتلاشى من أيامها بقوة المنهزم الذى طعن من الخلف.
نعم انطفأ نجمه من سمائها ولكن ندبة نقشتها فعلته بقلبها ستبقى الى الأبد.
أخذ موج الأيام يقلبه حتى رست سفينته على فشل كبير وبعد الفشل نتذكر من أحبونا بصدق لينسينا أنسهم وحشة الفشل ، فجاء وقت الاعتذار.
هى : ألو.
بعد صمت قصير.

هو : آسف.

شهق قلبها بقوة فأخرسه عقلها من فوره.

هـو : ألـو .. أنـا آسـف ، حقـا آسـف ، أحبـك ولم تكـن الا نـزوة ،غلطة ان شئتى حماقة.. ألو؟! ألو؟! أرجوكى لا تفعليها.

أنهـت المكالمـة .. كتمـت أنفاسـها وانقبضـت ملامحهـا ثـم أخـذت شـهيقا ودفعـت هـواءه دفعـا إلى رئتيهـا.. سـقطت دموعهـا وبـدأت فـى نحيـب صـامت سـريعا مـا إن انقلـب إلى بكـاء كبكـاء الأطفال بعد فقدانهم أمهاتهم.

بكـت اشـتياقها إليـه.. إلى صـوته وقلبـه الـذى خـدعها فاسـتبد فى خداعه.

إرتمـت علـى الأرض تلعنـه وتلعـن أسـفه الـذى لم يذلـه قـدر مـا أذلها.

ضحكت بمرارة وهى تتذكر كلمته: نزوة!.

كررتها نزوة.. أى نزوة تشتريها وتقايضها بى.

يـا ليتهـا مـا حـدثت.. جعلتنـى أكـره نفسـى ولا أكرهـك.. أحبـك ولم أعد أطيق روحى التى أحبتك.

مـاذا تفعـل بـى.. أى سـوء فعلـت بـك.. أى سـعادة امتلكتهـا ولم أقدمها إليك حتى تدس مخالبك وسط قلبى.

قامت لتذهب اليها تطلب دعمها، لطالما كانت هى السند.

مـا إن رأتهـا حتـى رفعـت حجـاب القـوة عنهـا وأطلقـت لـدمعها العنان.

حلـم: أبعـد كـل هـذه الأيـام وبعـد مـا فعلـه بـى ولم يسـتحى مـن الإتصـال؟ ألم يسـتحى مـن كلمـات الإعتـذار التـى لم تخفـف شيئا بل جعلتنى أشفق على نفسى.

عـرف كيـف يجعلنـى أكـره قلبـى الـذى سـار وراءه مغمـض العينين أكرهه وأكره أيامى معه.

قالـت حلـم هـذه الكلمـات وهـى تبكـى فـى حضـن مـريم التـى لم تقاطعهـا.. سـكنت طـويلا لتفسـح لمـا فـى قلبهـا مـن وجـع أن يخـرج حتـى إنتهـت ودمعـتين خجـولتين تسـقطان برفـق علـى وجه تتشرب ملامحه الضعف والإنهزام.

تكلمـت مـريم بعـد أن أفرغـت حلـم كـل مـا فـى جعبتهـا.. أحاطتهـا أكثـر بـذراعيها وقالـت :أفهمـك وأفهـم كـل مـا تشـعرى به ولم تبوحى به خجلا.

أفهـم أن كـل مـا فعلـه بـك لم ينسـيك الأيـام التـى تقاسمتهـا معه.. الأيام التى شكلت طفولتك حتى الآن.

أفهـم أن كـل هـذا الغضـب لـيس فقـط لأنـه أهانـك بـتفكيره ولـو بلحظـة أنـه يمكـن أن تسـامحيه وتتناسـى كرامتـك ولكـن لأنـه

لم يترك لك مجالا لتسامحيه فأنا على يقين بأن أحلامك بنيت على وجوده وعقلك لم يجرؤ يوما أن يحلم بحياتك خالية منه.

وفى الوقت ذاته أعرفك أيضا.. كرامتك فوق كل شئ إن كسرها أحدهم فلن يجمع أجزائها إلا أنتى .

كم كنت أحسدك منذ صغرنا على قوتك وإصرارك على كل شئ تريدينه فلا تضعفى الأن.

حلم : لن أتركه يذوب فى تفاصيل حياتى مرة أخرى فكرامتى أغلى من إحتياجى إليه ولكن كيف أحيا بدونه.

رفعت عينها الباكية إلى مريم : كيف ينسحب منى وكل قطعة منى متشبعة به ، نقصها مكتمل به.. بكل ما به عيوبه قبل حسناته.

كيف أقتلع جذوره من قلب أحلامى التى لم تنمو على وجودى كما نمت على وجوده.. كيف أفعلها يا مريم ..كيف؟!.

ربتت مريم على كتفها وقالت: ستفعليها .. لم أعهدك ضعيفة هكذا.. استعيدى كبريائك وضعى ما فعله بك نصب عينيك وستدفعك دفعا لنسيانه.. انسيه وأكملى الطريق

مـرت الأيـام عليهمـا سـوية لا تفترقـان فكمـا كانتـا ملتصـقتين منذ الصغر لم يشاركهم
لحظـاتهم سـوى ثـالثهم الـذى تخلـى عـن صـحبتهم وحبهـا واختار لنفسه صحبة أخرى.

أنتهـت سـنة كاملـة ثقيلـة بدونـه وظهـرت النتيجـة ولكـن لم يكـن موجـود ليجلبهـا لهـا كمـا اعتـادت السـنوات الماضـية.. حملـت مـريم اليهـا خـبر نجاحهـا وتشـاركهم نفـس التقـدير.. اسـتقبلت الخـبر بوجـه بـارد وعقـل شـارد يتـذكره وهـو يبشـرها السـنة الماضـيه بالنجـاح : نجحتـى فقـط لأنـى بجانبـك.. جربـى أن تبتعـدى عنـى خطـوة واحـدة ولـن تتخرجـى مـن الكليـة طيلـة حياتـك.. تـذكرت ردهـا عليـه وهـى تشاكسـه : خطـوه واحـدة! ثـم ابتعـدت عنـه خطـوتين وتابعـت هـا أنـا أبتعـدت ولم يحدث شئ . فضحك وقال أياكى .

حكـت جبينهـا لتمنـع نفسـها عـن البكـاء وابتسـمت لمـريم ابتسامة مصطنعة و قالت أخيرا تخلصت من الكلية .

فرحت مريم بالنجاح فهى نقيض صديقتها تحب المحاماه ولكن التخرج من كلية ليست لها علاقة بالمجال الطبى أو كما يقولون ::كليات القمة:: ورطة كبيرة فالدولة غير ملزمة بإيجاد وظيفة لك وأهلا بك فى عالم البطالة.. شهادتك ما هى إلا ورقة لتزين بها حائط غرفتك.. إن لم يكن عليك إلقائها فى خزانة الذكريات لئلا تذكرك بتعب أربعة سنوات فى اللاشئ وعليك بالتفكير فيما تنتوى فعله لتنشئ لنفسك إسما بين الناس.

أصرت حلم أن تقطع الطريق مع مريم الى البيت سيرا رغم تعبهما بعد خروجهما مع بعض الأصدقاء إحتفالا بالنجاح.

قطعتا الشوارع وهما تتابعان حركة المارة.. صحبة من الشباب يضحكون بأصوات عالية وكأن الدنيا خرجت من حساباتهم ..يزجرون بعضهم بعضا وهم يضحكون.

أناس أخرون كست مرارة العيش وجوههم.. توغلت حتى احتلت شفاههم المبتسمة للحياة نصف ابتسامة.

على الجانب الأخر من الطريق أسرة.. الأب متقدم للأمام مسرع الخطى جاهم الوجه والأم خلفه تصطحب أولادها.. تزجر هذا وتجذبه لئلا يبتعد وترمى الأخر بنظرة وعيد

ليكف عما يفعل ثم تنظر للأب نظرة غضب ولسان حالها : هل هم أطفالى وحدى.

ضحكت مريم وقالت لرفيقتها :حال كل الأسر المصرية.

إبتسمت حلم ثم بشئ من الحزن قالت :ما عدت أعرف أعد نفسى على أى جهة.. الشباب الذين لا يحسبون لشئ حساب أم أعتبر نفسى قد كبرت فجأة وأبدأ بالقلق من أجل مستقبلى وتمر الأيام رتيبة فأصبح مثل الرجل الذى مر بنا وهم الدنيا مرتسم على وجهه بدقة حتى غطى ملامحه.

تابعت وقد إنخفض صوتها : ماذا نفعل تعرفى أنى لم أحب الكلية ولا المحاماه يوما وما أريده ليس له مجالا ولا مستقبل فى بلادنا ::التصوير الفوتوغرافى :: مجرد هراء ببلد يغفو أهلها، يحلم كل منهم بلقمه عيشه التى سيكسبها فى اليوم التالى. وأبى كما أصر مسبقا يصر الآن على إكمالى الدراسة لم يكفى أربعة سنوات مرت ثقيلة فى دراسة القانون حتى أفنى عمرى كله نصف ميتة بين كتبه .

مريم: لا أعرف لماذا كل هذا الاستياء .. القانون نافذة لمساعدة الأخرين ألم تكن مساعدة الأخرين ضمن أحلامك .. ها هى الفرصة جاءت اليك لتأخذى بأيدى المظلومين

وكـــثير ممـــن أعيـــاهم ظلـــم أحـــدهم وجيـــوبهم لا تســـعفهم لحامين الدفع عندهم قبل التفوه بكلمة.

لم تكـــونى يومـــا فاشـــلة حـــاولى الدراســـة لإرضـــاء أبيكـــى ولا تهملـــى التصـــوير فـــى الوقـــت ذاتـــه.. ثبتـــى قـــدميك علـــى أرض صلبة ليكن لك الحق للتكلم عن التصوير .

صـمتت حلـم قلـيلا ثـم أخرجـت زفـيرا مـن رئتيهـا كـاد يخنقهـا وتابعت :على العموم لى ثلاثة أشهر للتفكير بالأمر .

كـادت مـريم تفارقهـا حتـى لمحتـه أمامهـا علـى بعـد خطـوات منهـا.. عينـه متشـابكة مـع عينهـا .. مخترقـة كـل أحجبتهـا المغلفـة بهـا روحهـا، تطلـب الغفران..ترجوهـا بحـق مـا مضـى أن تصفح.. تفعل به ما تريد عدا إغلاق كل أبوابها أمامه.

أمسـكت يـد مـريم .. ضـغطت عليهـا بشـدة تسـتمد منهـا القـوة.. تقـــدم خطـــوة فرجعـــت خطـــوتين وعينهـــا تحـــذره: إيـــاك والإقتراب .

كـادت ترتجـف مـن توغـل عينيـه بهـا .. تبكـى .. أرادت أن تقـف فـى سـاحته تشـكوه هـذا الشـئ القاسـى الـذى ينـبض بـين ضـلوعه فقط ليرهقها.

حدثتـه عيناهـا :لمـاذا لا يرحـل حبـك مـن قلبـى إلى الأبـد.. حـب أحمـــق يـــؤذى ولكنـــه مـــنغمس فـــى صـــدرى وبـــين ضـــلوعى

كالرياح العاصفة تكسر كل من يقف أمامها حتى كسرت شغفى بالحياة.

عالق هو حبك فى حياتى كغبار استقر على أثاث بيت تركه أهله منذ عقود ويحتاج لعقود أخرى حتى يزول

سأجبر قلبى على لفظك لأتنفس حريتى التى غابت عنى منذ رحيلك لأتنفس هواءا خاليا من أنفاسك التى أدمن استنشاقها .

سأرحل الآن وستنتظر كما إنتظرتك طويلا ولكن أعدك أن ظلى سيهجر شوارعك إلى الأبد .

خرجت من صمتها التفتت لمريم شدت على يدها وانسحبت بعيدا عنه.

دخلت المنزل .. أول من استقبلها والدها .. ابتسمت له وتقدمت نحوه تعانقه فربت

على ظهرها :مبروك النجاح كنت واثقا بك وهديتك عندى.

ضيقت عينها مبتسمة: هدية.

أولا إجلسى لنأكل معا وسأخبرك .

جلست على الطاولة بجوار أمها .. مدت يدها إليه تمازحه :الهدية.

ضرب بكفها كفه.. كيف سأضع الفيوم بكفك.

- الفيوم !

ألم تطلبى منى كثيرا أن نذهب إليها.

ضحكت و قامت قبلته على خده قبلة سريعة ، وقالت بشئ من الخبث: إذن متى سنذهب.

بعد غد.. تناولى طعامك لأتخلص من ثرثتك وإلا غيرت رأيى، رد متصنعا الجدية.

إلتهت طعامها وحديثها مع أمها حتى قاطعتها جملته: حلم هل فكرتى بأمر الماجستير؟.

التفتت إليه وقد امتقع وجهها.. صمتت برهة ثم ردت : سأفكر يا أبى .. اليوم فقط ظهرت النتيجة لم آخذ وقتى فى التفكير.

تغيرت الأجواء وتبدل مزاحها إلى صمت قلق.

إنتهت من طعامها.. استأذنت وغادرت لغرفتها، ما إن دخلتها حتى ذكرها

عقلها الباطن بما أرادت أن تتناساه بجلوسها مع أبيها وأمها.

.. نظرته التى طالما كانت تغلف قلبها وتحميه عن العالم وتسقطها فى عالم لذيذ به خدر جميل لم تجد أطهر منه، أصبحت الأن ترسلها بلا رحمة ولا هوادة نحو الجحيم:::..

رغم مكابرتها ووجهها الذى خبأته بقناع إلا إنها كانت تتفحصه وهو على بعد خطوات منها ، لم يتغير شكله ولكن عينها لم تعد عمياء كما كانت لا ترى سوى ما تحب أن تراه.

.

.بكت وهى تتذكر إقترابه منها ، تساءلت ألم يخجل ، يعترض طريقى بعدما رأيت منه فى المرة الأخيرة.

::كانت ترافق مريم يوم رأته مع الأخرى .. البالطو الأبيض متربع على يده اليمنى واليسرى ممسكة بيدها، عينه تغازلها كما غازلتها مرارا، يسيران ببطئ كأنما يستحلفان الزمن أن يتوقف عند هذه اللحظات.

إبتلعت دموعها المالحة وعينها على يده المتشابكة مع يد أخرى غير يدها.. توقفت لتفهم، ليعيطها الزمن هى الأخرى مهلة لتستوعب ما تراه ، لتستوعب أن الطفل الذى كبر وشب معها لم يعد طفلا ، لم يعد لها كما حلما مرارا.

إلتقت عينها بعينيه فاصفر وجهه وترك يد الأخرى كمن لدغه عقرب وتركها وأسرع ليبتعد عن عينيها ، تاركا

الأخـــرى لغضـــبها لتلتفـــت نحوهـــا وتقـــذفها بنظـــرة حـــادة حاقدة.::

-حلـم الكـاميرا بـنفس المكـان ، ضـعيها بشـنطة السـفر-... قالهـا وهـو ممسـك بمقـبض بـاب غرفتهـا بعـد مـا أتتـه هـذه الفكـرة ليقلـل مـن توجسـها ويـدفعها لتوافـق علـى إكمـال الدراسـة فقـرر رفع الحظر عما تحب.

أفاقت من شرودها وإعتدلت بجلستها : أبى !

::غيرت رأيى:: قالها وهو يغلق الباب ويتركها لدهشتها.

.

وهـــى تنظـــر نحـــو البـــاب المغلـــق.. إبتســـمت إبتســـامة حزينـــة.. فهمت ما يرمى إليه بسماحه لها باصطحاب الكاميرا معها.

خطـت خطـوات قليلـة حتـى وصـلت لمكانهـا المحتجـزة بـه أسـيرة حذر والدها.

.

ركعـت علـى ركبتهـا .. لامسـتها بإصـبعها كمـن يلامـس وجـه طفـل رضـيع يحـرص عليـه مخافـة إيذائـه.. إبتسـمت لهـا .. تناولتها ثم وضعتها بحقيبتها وخلدت إلى النوم.

اســتقلوا الســيارة ولم تشــعر بطــول الطريــق حيــث أمضــته تداعب كاميراتها

بـبعض اللقطـات كمـن يـداعب طفلتـه الصـغيرة التـى لم يرهـا من أمد بعيد.

كـل هـذا وغضـبه يتجمـع فـى بوتقـة صـبره الـذى لا يريـده أن ينفذ .

هـو لا يغضـب لحملـها الكـاميرا فحلـم لا تحملـها بيـدها فحسـب ولكن قلبها وعقلها

يحملانها بـين أيـديهم ويتراقصـان بهـا فـى عـالم طمـوح لـيس بـه سـوى الشـغف بالتصـوير .. باللحظـات التـى لا يتوقـف عنـدها سوى مبدع فتلهيه عما غيره كمستقبله كما يفكر والدها.

ذهبـت بخيالهـا لعـالم بعيـد .. عـالم خـاص بهـا وحـدها لم يطـأه سوى هذا الراحل الذى

لطالما عاش به معها.

عـالم تـراه مـن خـلال عيـون الكـاميرا التـى تحتضـنها الآن .. تـرى نفسـها مصـورة مشـهورة .. يقتنـع العـالم بموهبتهـا .. يترك العنان لشغفها..

ملـئ بمعارضـها .. تـرى توقيعهـا أسـفل صـورة أشـتهرت لهـا.. مريم تبتسم وهى ترى تقدمها.

أسكرتها خمر الأحلام حتى استفاقت من حركة السيارة أثناء توقفها.. لملمت

أحلامها وقبضت عليها بكفها وهبطت لأرض الواقع.

نزلوا بالمنزل الذى استأجره لهم والدها..

استقبلهم حارس البيت ، ساعدهم فى حمل حقائبهم وتقدمهم ليفتح باب الشقة .

خطا أول خطوة ..وضع ما بيده أرضا وضغط على مفتاح الكهرباء لينير المكان.. عرفهم على غرف نومهم والمطبخ وباقى الشقة واستأذن ورحل بعد أن أخذ حقه فى حمل الحقائب.

كانت الشقة متوسطة بها غرفتين للنوم وصالة ضيقة الى حد ما .. قضت حلم وأمها اليوم بأكمله فى تنظيف الشقة وترتيب أغراضهم حتى نامت أمها على أريكة تتوسط الصالة.. نادتها وهى تضع يدها على كتفها برفق حتى استفاقت فأخذتها من يدها الى غرفة نومها لتستريح.

رغم ارهاقها فلم تستطيع النوم فكرت أن تتصل بمريم لتؤنس وحدتها ولكنها خافت أن تكون نائمة فتوقظها ، ذهبت الى خزانة وضعت بها أغراضها وأخذت تبحث عن شئ، فوجدت كتابا بدأت به منذ يومين ولم تنهيه فالتقطته وجلست على سريرها تكمله.

فى صباح اليوم التالى استعدوا لزيارة الأماكن التى قرروا قبلا زيارتها ، وضعت حلم الكاميرا فى شنطة يدها وانطلقت معهما.

كانت الفيوم من أجمل الأماكن لمصور فوتوغرافيا فهى محاخة بالصحراء من

ثلاث جوانب.. بها معابد ، وديان ، بحيرات وتمتلأ بأشجار النخيل .

فى خلال أسبوع خافوا الفيوم من سواقى الهدير التى تشتهر بها الفيوم لبحيرة قارون ثم منها لمحمية وادى الريان وما بها من شلالات ، وادى الحيتان ومتحفه المفتوح حيث يمتلأ بحفريات لحيتان كاملة.

وانتهوا بزيارتهم لتماثيل ومعابد مدينة ماضى.

عبئت الكاميرا بلقطات تافهة وأشياء أتفه كما قال أبوها.

::مـا المفيـد فـى تصـوير ورقـة مـن أوراق الشـجر أو بحـيرة ملتصـقة بـالارض لـن يحـترق العـالم إن لم تصـوريهم.. هـل هـذا سـيحل مشـكلة فلسـطين مـثلا؟! يـا إبنتـى القـانون هـو الاهـم مركز مهم ودخل مادى جيد ومستقبل مضئ.::

وهـل المحـامون علـى كثـرتهم تمكنـوا مـن حـل مشـكلة الصـومال حتـى وليسـت فلسـطين ، ألقـت الكلمـات بصـوت خافـت ولكـن يسـمع وهـى بعيـده النظـر عـن عيـون والـدها ممـا أشـعل غضـبه وقبـل ان يتفـوه بكلمـة ويركـب حلـم الماجسـتير علـى عربـة عنادهـا إلى المجهـول للأبـد، تـرك المكـان وهـو يلعـن أدمغـة الشـباب التافهة المتحجرة

وفـى السـيارة اثنـاء عـودتهم للقـاهرة اسـترجعت مـا قالـه والـدها شـعرت وكـأن الاسـبوع الـذى مضـى كـان آخـر عهـدها براحـة البـال وأنهـا امـام امـرين لا ثالـث لهمـا امـا إكمـال الدراسـة كمـا يريـد والـدها وكمـا تكـره أو البحـث عمـا يطـور مهارتهـا فـى التصـوير لتصـبح كمـا تريـد وهـو الامـر الصـعب ..أيـن لهـا أن تجـد مجلـة تتـدرب بهـا وخبرتهـا بالحيـاه لم تتعـدى حـدود

منزلها وجامعتها وأين لها بالحرية لفعل هذا، لن يسمح والدها بذلك إن لم تفعل ما يريد.. هل ستجلس فى البيت بدون عمل تنتظر؟.

كاد عقلها ينفجر من تزاحم هذه الافكار المتصارعة حاولت أن تكف عن التفكير ووضعت الأمر بيد الله .. ناجته أن يقدر لها الخير ويرضيها به.

فى الايام التى تلت رجوعها للمنزل ..انعزلت بغرفتها فترات خويلة تفكر.. متحاشية نظرات والدها التى تذكرها بما لا تريد.

جلست على سريرها متكأة على جانب منه ،أخذها خيالها إليه ، إلى ذكرى لها معه .. تذكرته وهو يشجعها ويحلم معها بمستقبل نسجوه معا.

تذكرت وجهه المبتسم وهى تلتقط له أول صورة من أول كاميرا امتلكتها .

قال لها :يوما ما ستجدي عندى صندوقا يمتلأ بنسخ من مجلات تحوى صورك ،ستكونى كما تريدى لا تقلقى ما دمت معك..وعندما ابتسمت بسخرية قال لها : لا تصدقينى !يوما ما سأشمر عن ساعدى وأقف لأجهز معرضك بنفسى سأضع

كل صورة فى مكانها حتى تأتي وتتشاجرى معى على توزيعى السيئ للصور ، فضحكت من قوله.

ابتسمت بسخرية من واقع غريب سقط به مؤمن آخر بها أولعله لم يؤمن يوما وكلماته تلك لم تكن إلا كذبة من أكاذيب كثيرة حوتها جعبته .

تساءلت هل ما زال يذكر حلمها ..هل يفكر الآن ماذا سأفعل .. هل الوضع كان سيظل بهذا السوء إن لم يرحل .

هل كان سيعيد كلامه عندما قال : إن لم يسمح لك والدك بتحقيق حلمك سأتزوجك وأساعدك على تحقيقه، لن اسمح أن تعيشى تعيسة.

تكومت على نفسها ودفنت رأسها بين قدميها وبعد فترة قامت تغسل وجهها بالماء وحضرت فنجانا من القهوة .

خرقت باب الغرفة فسمعت صوته يأذن لها بالدخول ، فتحته وجدت أباها يقرأ كتابا.. إبتسمت له ورمقته بنظرة حانية وجلست بجواره على الاريكة .. سألته عن الكتاب الذى يقرأه ولما اجابها صمتت قليلا ثم تابعت.

أبى.. أعرف أنك تحبنى كثيرا وكل ما تفعله لأجل مصلحتى ولا تغفل عن حبى وتقديرى الكبير لك .. سأتقدم للماجستير كما تريد ولكن بطلب ولا تعتبره شرخا أرجوك.

نظـر إلى وحيدتـه والرفـق الـذى بعينيـه يغطيهـا بأكملـها : موافق قبل أن تطلبى .

بإبتسـامة متثاقلـة : أريـد أن أسـجل فـى دورة لـتعلم الكمـان ..

إبتسـم إبتسـامة رضـا تخالطهـا شـعور بـالإنتصـار وغمرهـا بـين ضلوعه إلى جانب قلبه المتظاهر بالقوة.

حجـزت مقعـدا لهـا بصـف الموسـيقى .. حاملـة الكمـان الـذى اشتراه والدها مصرا على هذا النوع الغالى تودادا إليها .

دخلـت المكتبـة التـى انتقتهـا بنفسـها لاختلافهـا عـن مثيلاتهـا حيـث المـدخل الزجـاجى الـذى يشـى بجمـال كـل شـئ خلفـه.. الجـدران المطليـة بـاللون البنـى معلـق عليهـا مجموعـة مـن الألات الموسـيقية ، جيتـار .. كمـان ..عـود وعلـى رفـوف أسـفل هـذه الألات وضـعت مجموعـة مـن الكتـب والروايـات منظمـة بشـكل ملفت جميل.

بجـوار الحـائط جهـة الـيمين منضـدة حولهـا ثـلاث كراسـى جلديـة بـألوان مختلفـة .. علـى المنضـدة لوحـة رسـم عليهـا ريشة ومجموعة من الألوان .

خطـوتين مـن المنضـدة حتـى تصـل لـدرجتى سـلم للأسـفل تفضـى الى سـاحة واسـعة فـى اقصـى اليسـار يجلـس مـدير

المكتبة ، شاب فى الثلاثينيات من عمره يقرأ رواية وضح اسمها عندما اقتربت أكثر :: ساق البامبو :: .

انتقلت عينها باعجاب الى المكتبة القابعة بجواره وتمنت أن تمتلك يوما مثلها.

انتبه لمجيئها عندما اقتربت اكثر وضع قلما فى الرواية ووضعها جانبا وقام وهو يبتسم لها.

أكدت حجزها معه فى صف بدأ بالفعل قبل أسبوع، خمأنها :لم تفوتك سوى محاضرة واحدة.. ودلها على مكان الصف

دلفت إلى الصف الذى دخلته قبلا فى مخيلتها عشرات المرات ولكنها صدمت ..

تكشيرته التى تفترش وجهه لا تليق بشاب فى نهايه العشرينيات تزيده التكشيرة عشر سنوات فوق عمره.

يسحب كرسيه كزوج يسحب زوجته للمأذون ليلقى عليها اليمين ويتخلص من مأساته معها.

صرخ عقلها :هذا مدرب الكمان ؟!.

لم يكن كما تخيلته .. مبتسم ..أنيق .. يمسك الكمان بكلاسيكية تخطف الأبصار.

واضح أن الأفلام أفسدت عقلى .. أسرتها فى نفسها فضحكت وتابعته وهو يجلس على الكرسى المسكين .. يقلب فى النوتات الموسيقية .. لم يتغير وجهه الذى لم يشفع شبابه فى تفكيك هذه التعابير الصارمة العالقه بجبينه .

إقتربت صاحبة الإسم الذى يميزها فى كل المقابلات الأولى من هذا العابس .

السلام عليكم.. حضرتك أنا...

أكيد متدربة جديدة إتفضلى .. قالها بسرعة بعد أن رماها بنظرة بلهاء وعاد إلى ما بيده .

دقات قلبها تسارعت واحمر وجهها خجلا .. هذا المغفل مدرب موسيقى ! لايليق به سوى مدرب مصارعة حرة.

أخرجها من تكاتف عقلها وقلبه عليه لأول مرة وهما يتمنان أن يصفعانه صفعة ترميه أرضا ثم تنقض عليه بالضربة القاضية ل:: بيج شو :: فتأخذ حقها.

ألقاها بنظرة سريعة غير مبالية : ما أسمك ؟ ثم أكمل قبل أن تنطق بحرف : رامى درويش مدرب المبتدئين .. قالها وعلى وجهه إبتسامة صفراء تقول لها ماذا أتى بك هنا أيتها البلهاء؟.

أحتقنت : هذا الغبى ... وتابعت :حلم ...

وقبل أن تكمل باغتها : لا لم أخلب منك أن تحدثينى عن سبب مجيئك لتعلم الكمان وأن هذا حلمك .. هكذا أشياء سنتطرق إليها فيما بعد .

فغرت فمها وأخذت نفسا عميقا وقالت وهى تجلس غضبها على كرسى ليهدأ قليلا : لا إسمى حلم.

انفرجت ملامحه سريعا قبل أن يغير رأيه ويسجنها مرة أخرى وراء قضبان عبوسه .

أسرتها فى نفسها وهى تبتسم إبتسامة صفراء : يبتسم .. لك الحمد يا الله .. فتحت عكا .. أين أنت يا مريم .. سيكون وليمة دسمة لمزاحك شهرا كاملا .

حلم ! قالها وهو يبتسم .. لم أسمع بهذا الإسم من قبل ولكنه مختلف وجميل.. أحببته.

لماذا الكمان ؟

نعم ؟ .

أعاد عليها السؤال : سألت لماذا الكمان؟.

أمالت رأسها للأسفل وهمهمت : لأرى مغفلا مثلك ثم رفعت رأسها نحوه ولجمت لسانها عن السخرية وارتدت ثوب الجدية

وتابعت: الكمان له كلاسيكية ساحرة، رأيت عازفا للكمان لأول مرة فى حياتى وأنا صغيرة، كنت أحسه يراقصه كما يراقص الفتى فتاه أحلامه .

عزف على أوتاره وعلى قلوبنا حتى تمزقت الأوتار من فرط نشوته .. من هذا اليوم وأنا أعشق الكمان .

لم تكد تنهى جملتها حتى خفق قلبه وأرهقه نبضا واكتست ملامحه بمسحة من الحزن فلم تكن تعلم أنها تتحدث عن عازف الكمان والإنسان الذى أراد أن يكونه ولكنها الأيام تقتل شغفنا وتبقى لنا ذكراه نتحسر عليها.

إبتسم لها بعدما حضر الجميع فتوجه لباقى المتدربين : أعلم أننا بدأنا فى المحاضرة السابقة ولكن سريعا سأعيد ما علمته لكم المرة الفائته حتى تتابع حلم معنا.

حدثتكم عن الكمان، ألة وترية ذات أربعة أوتار .. يعتبر من أشهر الألات التى استخدمت فى الموسيقى الكلاسيكية، يوصف صوته بأحن أصوات الألات الموسيقية.

من أهم أجزاءه هذا الصندوق ويسمى الصندوق المصوت ويستخدم فى تضخيم صوت الأوتار المشدودة عليه.. إن

جـــرب أحـــدكم العـــزف علـــى الأوتـــار وحـــدها دون وجـــود الصندوق فتصدر صوتا ضعيفا لذلك وجد.

تعتمـــد جـــوده الكمـــان علـــى جـــودة الخشـــب المصـــنوع منـــه الصـندوق.. أمـا هـذه الأوتـار فهـى كمـا تـرون أربعـة ri, la, mi sol, .

.

وهذا هو القوس المستخدم فى العزف على الأوتار .

كانـت تتـابع حديثـه بانتبـاه فلطالمـا عشـقت صـوت هـذه الألـة .. كانـت عينهـا تنتقـل بينـه وبـين مـن يستفسـرمن الجالسـين عمـا لم يفهمه.

بعـد إنتهـاء الشـرح .. خرجـت فوجـدت مـريم فـى إنتظارهـا خـارج المكتبـة ..تلبيـة لموعـد سـابق للخـروج معـا قبـل بـدء الدراسة وانشغالها ..

لم تجـد خبقـا أشـهى مـن الحـديث عـن المـدرب أو كمـا أخلقـت عليه مريم بعدما سمعت كلام حلم عنه ::عتريس::.

وصـــلت لمنزلهـــا برفقـــة مـــريم فوجـــدت أباهـــا يســـتقبلهما بابتسـامة .. اقـترب ورحـب بمـريم كمـا يليـق بهـا فهـى ابنتـه الثانيـة التـى لم ينجبهـا .. ثـم توجـه لابنتـه مـداعبا : تـدربى

جيدا لأحضر لك حفل بعد سنتين أو ثلاث ..ردت مريم وهى تضحك : اخمئن يا عمى إن لم تتدرب كما يجب سيجلدها المدرب بالسياط.

أول يوم دراسى .. ذهبت إلى الجامعة كما لو كانت خالبة فى السنة الأولى لا تعرف أحدا .. توجهت لشؤون الطلاب الملتحقين بالدراسات العليا ، تسأل عن جدول الدراسة.

وقفت تنتظر الموظفة المنشغلة مع زميلتها فى أمور أعظم بكثير من الدراسة وهذه التفاهات.

::شوفتى إمبارح يا فاخمة .. عملت حلة بامية باللحمة والعيال آل إيه مش عاجبهم البامية .. عايزين فاصوليا .::

تنحنحت مقاخعة : لو سمحتى ممكن جدول تمهيدى.

نظرت نحوها بغيظ شديد كأنها من حرضت أولادها على التمرد وقالتها بحدة : جايالك.

وقفت تنتظر فلمحت إبتسامة واسعة على وجه جميل أول ما تراه يجذبك سماحته ويشى بصفاء قلب صاحبه فانفلتت ضحكاتهم المكتومة .

كانت تقف أمامها مباشرة بثوبها الوردى وحجابها البسيط ممسكة بحامل حقيبتها الزرقاء الذى يمتد من كتفها الأيمن

وينتهى بقلب الحقيبة على جنبها الأيسر، كفراشة ينقصها جناحان لتحلق بجانب الأزهار كانت .. بادرتها بقولها: بربك ماذا فعلت ؟ قاطعتى حديثها لتسألى عن الجدول ، ثم ابتسمت ومدت يدها : يسرا .. مثلك تمهيدى ماجستير .

صافحتها مبتسمة :وأنا حلم .

حلم.. قالتها كمن يتذوق الإسم : اسم جميل .

تناولت الجدول مدته إلى يسرا لتشاركها معرفة محتواه .

رافقتها يسرا : تقدمتى للماجستير .. من المؤكد أنك تحبين المحاماة كثيرا .

ضحكت الأخرى : نعم ولكنه سر خطير.

انتبهت لها : سر!! لم أفهم.

::لم أحب القانون يوما ولكنه حكم أبى .. اتسعت ابتسامتها حيية ثم أكملت لتشبع فضولها : كل إهتمامى بالتصوير:: .

يسرا: التصوير ! لم أرى بحياتى أحد مهتم بالتصوير.. عندى أصدقاء مهتمين بالكتابة بالرسم أو الرياضة لكن التصوير...

::فى الحياه لحظات تستحق التصوير كما تستحق الأحداث التاريخية لتسطير المؤرخين::.

حركت الأخرى رأسها متفهمة : جميل ثم سرحت بخيالها برهة وتوقفت عن السير وقالت بصوت عال كم تذكر شيئا : تصويرا! .. ممتاز .. لو وافقتى سوف تفرق معنا ومعك كثيرا

حلم : واقفت !! على أى شأن ؟ لأ وافق .

ملأت رئتيها بهواء متشبع بالأمل وبدأت يومها الأول بحماس كبير .. قررت أن تبقى الأمر بعيدا عن أبيها حتى ترى ما سيؤول إليه الأمر فلم تكن تتخيل أن بابا سيفتح أمامها من خريق أجبرت على السير باتجاهه ولم تر فيه ولو بصيص أمل .

ما أحلمك وأكرمك يا الله.

لم تنتظر رجوعها للبيت لتخبر مريم بالأمر، بحثت عن رقمها، هاتفتها وانتظرت ردها.

مازحة : ماذا فعلتى بدونى اليوم ، من المؤكد أن اليوم ينقصنى.

مريم: منذ أن استيقظت وأنا أحمد الله أنى لن أراك اليوم وسيمر يومى بسلام .

أخذتا تتبادلان المزاح حتى حدثتها عن عرض يسرا .

حلم : لن تصدقى ما حدث اليوم .

مريم : هل نزلت عليك لعنة لأنك ستكملين الدراسة ؟

أتكلم بجدية قابلت بنت معى مشتركة هى وبعض زملائها فى أسرة سياسية وعندما حدثتها صدفة عن ميولى للتصوير عرضت علي أن أصور لهم مواضيع معارضهم.

مريم : خطوة جيدة ولكن ماذا ستسفيدى من أسرة صغيرة ؟. زادت جديتها أكثروتابعت: وقبل هذا لأى جهة ينتمون، لم تشتركى فى أسر من قبل .

حلم: لا تقلقى .. الأسرة تضم بعض الشباب المهتم بأحوال البلد ولا تخدم أو تميل لفصيل بعينه.. أما عن الإستفادة فهى فقط بداية ، ولم أكن أتصور أن تأتى من خريق لطالما كرهت أن أسلكه.

صمتت مريم قليلا تفكر ثم أردفت : عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ولكن ماذا عن أبيك .

حلم : لن أحدثه عن الأمر حتى أرى إلى ما ستؤول إليه الأمور .. أخذت نفسا عميقا وتابعت : حان وقتى لأفعل ما أريده أيضا.

وعندما وصلت للبيت وجدت أمها وأبيها يتحدثان.. ألقت السلام بحيوية ومرح لم يعهداها منذ أن قررت إكمال الدراسة.

قبلت أبيها قبلة خويلة وهى تداعبه ثم ارتمت فى حضن أمها وقالت : كيف حالكما؟.

إبتسم وعلى وجهه علامات الدهشة وأجاب : بخير.

تابعها وهى تتوجه لغرفتها ثم نظر لزوجته : هل فهمتى شيئا؟ .

فأجابت وهى تتابعها : لا .

دخلت غرفتها وأخذت تسترجع حديثها مع يسرا.

::أنا وبعض زملائى أعضاء فى أسرة لها نشاط سياسى معظم أعضاءها لم يتخرجوا بعد والباقى من خلاب الدراسات العليا وكليات أخرى، من الممكن أن تشتركى معنا فى نشاط الأسرة وهى تفسر عن علاقة ما تتحدث عنه بالتصوير: الأسرة بها فصائل عدة ولكن ليس بيننا اختلافات كبيرة .. هى ضد الفساد واحتكار الحريات للفئة المؤيدة للسلطة دون الفئات الأخرى .. ننشر أفكارنا عبر معارض تعبر عن مشكلات

يعانى منها المجتمع والصور أكثر الأدوات تعبيرا عما نريد إيصاله .

معظم معارضنا من مواضيع الجرايد والمجلات، لو وافقتى ستساعدينا .. تحضرى الأحداث معنا وتزودينا بالصور لتكون أكثر مصداقية.

ضحكت عندما تذكرت كيف وافقت بسرعة كمن وجد كنزه الضائع ونظرة يسرا المندهشة من سرعتها فى الموافقة .

قطع حبال أفكارها صوت خرق على باب الغرفة .. لحظة ووجدتها أمامها مبتسمة تنظر لها نظرة مداعبة فحواها هاتى ما عندك.. أغلقت الباب خلفها وإقتربت نحوها وهى تقول : قولى لى ما سر هذه السعادة منذ مدة لم أراك تبتسمين وتمارسى شغبك علينا كعادتك .. ماذا حدث اليوم؟.

ضحكت وقالت : سر .. سأقوله لك ولكن عدينى أنك ستبقيه بعيدا عن أبى .

سر ضغطت على الكلمة وأخالت نطقها.. سر أم مصيبة ؟ سترك يا الله .

ضحكت : شئ من هذا القبيل .

جلست بجوارها تسمع ما حدث .. قصت عليها حديث يسرا وعرضها وعندما انتهت تفقدت ملامح أمها لتشى لها عن رأيها.

صمتت أمها قليلا حتى سألتها : أمى لم تقولى ما رأيك فيما حدثتك عنه .

نظرت إليها وقد تلبسها القلق : ماذا عن أبيك؟ .. إن وصله الأمر سيقلق بشأن دراستك .. تعلمى حذره من ميولك للتصوير .

أمى.. لن يعطلنى الأمر عن الدراسة على العكس شهيتى نحوها ستتضاعف لأرضى أبى ويخفف من قلقه بشأنى

رجعت أمها للصمت مرة أخرى ثم تابعت: لا أعرف .

إقتربت حلم منها وقبلتها قائلة : لا تقلقى .. حكيت لك لأنى أعرف أنك ستدعمين موقفى عند أبى عندما يعرف .

قالت وهى نصف شاردة: ربنا يستر.. ثم ابتسمت وقالت سيأخذنا الحديث وننسى تحضير الغداء،هيا بنا لنقوم بتحضيره .

فى اليوم التالى أسرعت إلى الكلية كلها أمل .. وجدت يسرا فى جهة قريبة بصحبة شاب وفتاة أخرى.

نادتها عندما إقتربت : حلم اقتربى .. علي ونادين، علي كلية إعلام ونادين كلية علوم، زملائى بالأسرة .

حيتهم على إستحياء فلم تكن ممن يجيدون اللقاء الأول بأى حال.

توجه علي إليها بالحديث .. أفصحت كلاماته الأولى وعينه الخجلى عن شخصية رصينة تجبر من حوله على إحترامه : هل عملتى مع مجلة مهتمة بالتصوير من قبل ؟.

حلم : مجلة ! لا ولكن أتابع مجلات كثيرة متخصصة فى التصوير.

علي مكملا : إن شاء الله تفيدينا وتستفيدى من معارضنا ولكن عليك أن تعرفى أن الأسر السياسية تتعرض لبعض المضايقات وإن أردتى ترك الأسرة فى وقت لاحق لن يلومك أحد .

ردت : مادمت مقتنعة بما أفعل فلن أتراجع عما أريد ومهما أرادوا فلن يفعلوا سوى ما كتبه الله.

::بداية مبشرة ولكن مهمتك ليست هذه المرة .. المعرض سيقام الأحد القادم عن مشاكل الدويقة ومنشية ناصر ولن تستطيعى الذهاب للتصوير، سأذهب أنا وصديق لى يعمل صحفى فى مجلة ما سيتجاوب الناس معنا من خلاله::.

إلتفتت نحو يسرا ثم عادت إليه : ولماذا لا أستطيع الذهاب؟.

رد مبتسما : الدويقة منطقة عشوائية .. ويمكن أن يتحرش بك بعض الشباب هناك.

قاطعته: ولكنى سمعت عن صحفيات كثر ذهبوا لأماكن مشابهة برفقة المصورين ولكن لماذا الدويقة ألم تنتهى المشكلة بعد سقوط الصخرة؟.

::المشكلة لم تنتهى ولكنها بدأت بسقوط الصخرة قبل سنوات، خبراء كثر يحذرون من تساقط صخور أخرى قريبا بما ينذر بكارثة جديدة:: أجابها علي .

إذن سآتى.. ردت مصرة.

إستسلم أمام إصرارها وقال ليسرا : تستطيعى مرافقتنا حتى لا تبقى حلم وحدها معنا؟.

بالتأكيد ، أجابته يسرا .

لم تغمض لها عين إلا فى وقت متأخر من الليل تفكر فيما ستفعله غدا وماذا ينتظرها وما سيحل بها إذا أكملت حتى غلبها النعاس وهى تبتسم.

::كانت تركض باتجاهه .. تركض بكل قوتها ..عينها متعلقة به..بدأت صورته بالتلاشى شيئا فشيئا كالسراب كلما اقتربت منه .

سرعتها آخذة فى الإنحسار .. حاولت الركض أكثر فخذلتها قدمها .. وقفت لاهثة تتحسس أقدامها المتعبة وتستل نفسا عميقا ثم نظرت بإتجاهه فلم تجده.. جالت بعينها فى كل إتجاه فزعه فلم تجده كأنما لم يكن هنا أبدا.

عادت بعينها للمكان الذى اختفى منه فرأت سلم من بعيد لم يكن موجود قبلا ، يحوخه الظلام من كل جانب .. خطت إليه خطوة خطوة لعله يوصلها إليه حتى وجدت نفسها تركض أسرع من المرة الأخرى.. ظلت تركض بكل قوتها عللها تلحق به .

توقفت أسفله تنظر لأعلى .. الظلام يمنعها من الرؤية.

بدأت بالصعود.. شعرت بثقل فى قدميها كأنما قيدت بكرات من حديد .

عافرت وحاولت صعود الدرج واحدة تلو الأخرى .

خف الثقل رويدا رويدا بقدميها وبدء النور فى الظهور حييا يرسل شعاعا تلو الأخر .

وهى تضع قدمها على الدرجة الأخيرة .. زلت قدميها فى فجوة كادت تسقط حتى التقطها أحدهم .. رمقته بفزع ثم نظرت أسفلها فارتعبت أكثر، ظلام يحده ظلام فتمسكت به حتى رفعها إليه وانجلا الظلام.

أيقظها عقلها المتحفز قبل أن يعلن المنبه عن ميعاد إستيقاظها ..قفزت مبتعدة عن السرير تستقبل الصباح بحماس وقلب متقد .. أكملت إرتداء ملابسها وهى تفكر فى منام الليلة الذى خيطه لها عقلها الباخن من خيوط متشابكة من الخوف والأمل.

وضعت الكاميرا بحذر فى حقيبتها وانطلقت إلى محطة المترو حيث اتفقت مع على ويسرا على أن ينتظراها هناك.

وصلت المحطه بمنطقة العتبة .. هاتفت يسرا تسألها عن مكان تواجدها أخبرتها أنهم ينتظرون بجوار شباك حجز التذاكر .. توجهت إليهم وجدت يسرا وعلي مع شاب أخر خمنت أنه صديق علي الذى يعمل بالجريدة .. حيتهم

وعرفها علي على صديقه : أحمد النجار صديقى الذى حدثتكم عنه سيساعدنا للتحدث مع الأهالى.

إبتسمت له باستحياء وأحنت رأسها قليلا تحية له .

أكمل علي : سنستقل مترو محطة العباسية ..نغادره فى أول محطة ::باب الشعرية:: ومنها نستقل أى وسيلة توصلنا إلى المنشية.

قطعوا أربعة تذاكر لمحطة باب الشعرية ..سأل أحمد الموظفة عن كيفية الوصول لمكان مترو العباسية لئلا يضيع الوقت فى البحث وسؤال هذا وذاك .

إنتظروا قدوم العربة بجوار بعضهم بعضا حتى لا يتفرقوا عند الدخول بقوة الدفع ممن سيركبون معهم نفس العربة.

وصل المترو .. وجهت يسرا حديثها لحلم : تمسكى بحقيبة يدك إن دفعها أحدهم بعيدا فلن تطاليها من شدة الإحتشاد.

دخلوا بدون إرادة منهم عندما إقتحم الركاب العربة وهم يدفعونهم للداخل .. تشبثت حلم بيد يسرا بصعوبة وابتعدوا عن علي وأحمد .

توجهت حلم بنظرها إلى علي البعيد عنهم مخافة أن لا يستطيعوا تخطى من
أمامهم للنزول بأول محطة فطمأنها بإشارة من يده.

جذب نظرها الحشد الذى بكثرته لم يترك موخئا لقدم أخرى، حاولت أن تتزحزح من مكانها قليلا لتبتعد عن تزاحم الرجال لئلا تلتصق بأحدهم فلم تتمكن.. وضعت حقيبتها أمامها وتمسكت بيد يسرا الواقفة خلفها موازية لها تماما وجالت بعينها على الواقفين والجالسين ووجوههم التى تحمل بعضا من حالهم وتخفى البعض الاخر.
شد انتباهها رجل خمسينى يحاول أن يتبادل أخراف الحديث مع فتاه تقف وحيدة والبنت مبتعدة بعينها عنه محاولة أن تتجاهله.. كلما تحدث أكثر ازداد وجهها حنقا ولكنها لا تعره انتباها حتى لحت بعينها شابا فى أواخر العشرينيات يشير لها بيده أن تتقدم لتجلس مكانه فانفلتت من بين الناس الملتصقين حولها بصعوبة ولكنها كانت تسرع كمن مد لها خوق النجاة حتى وصلت اليه وقام ليجلسها فابتسمت له حيية ابتسامة امتنان.

نبهتها يسرا بحركة من يدها وقالت :وصلنا، نزلوا بنفس خريقة الدخول وانتظروا علي و أحمد وهم ينفلتوا من بين الأجساد الكثيرة المتلاصقة حتى لحقوا بهم.

نظر على لحال يسرا وهى تعيد النظام لملابسها تسائل مازحا:ماذا سنفعل يوم الحشر؟ .
أكملوا خريقهم وخرجوا من المحطة، سألواالمارة عن وسيلة تنقلهم لمنشية ناصر.

وصف لهم رجل معه صاحبه كيفية الوصول فقاخعه صاحبه برأى آخر فابتسم علي وشكرهم على وصفهم وهو فى قرارة نفسه يحمد الله أن صاحبه قاخعه ليعرف أنهما لا يعرفان الطريق الصحيح .
علق أحمد بابتسامة ساخرة :اللى يسأل فى بلدنا ربنا يعوض عليه .
خرجوا من المحطة سألوا احد البائعين فوصف لهم مكان ميكروباص يوصلهم للمنشية شكروه ومضوا .
وصلوا عزبة الزبالين بمنشية ناصر، استوقفهم علي قائلا :لن نصور شيئا حتى نكلم بعض الناس ويجتمعوا حولنا لئلا يتعرض لنا أحد بسوء .. لن نقول أننا من أسرة سياسية

فى الجامعة فلن يلتفت إلينا أحد.. سيقدمنا أحمد من خلال المجلة التى يعمل بها حتى يتفاعل معنا الناس ، يجمع معلوماته للمقالة ونجمع نحن لمعرضنا.

أومأت يسرا برأسها موافقة فوجه نظره لحلم وقال لا تبتعدوا عنا حتى نخرج وإن تحرش أحد بنا لن نلتفت وسنكمل الطريق .

سلكوا خرق غير ممهدة وضيقة إستقبلتهم روائح كريهة وإرتفاع فى درجة الحرارة عن الأماكن العادية التى جاءوا منها ،عرفوا فيما بعد أنها أتية من مصانع الزجاج والبلاستيك المنتشرة بالمنطقة والتى تعتمد على غلايات ضخمة ترتفع بسببها درجات الحرارة .

واصلوا السير بين منازل متهالكة صغيرة .. جدرانها تزيدها الشقوق وهن على وهنها .. القمامة منتشرة بكل مكان حتى على أسطح المنازل ،

ابتعدوا عن الأماكن المليئة بطفح الصرف الصحى، سدوا أنوفهم للتخفيف من وخأة الرائحة المتغلغلة فى تفاصيل المكان.

دار بخلدهم كيف لبشر أن يعيش ببقعة كهذه ، هى أرض للأوبئة والأمراض.

أكملوا خريقهم بين مساكن موزعة بطريقة عشوائية بدون أى تصميم هندسى، متلاصقة للحد الذى يغتال خصوصية العائلات.. ضيقة للحد الذى ينذر بتحول أى مشكلة صغيرة لكارثة.

إن إندلعت النيران فستلتهم كل هذه المبانى المتلاصقة ولن تستطيع إستقبال أى من سبل الإغاثة كسيارات الإسعاف والمطافى.

كسر أحمد الصمت الذى إستوخنهم عندما توغلوا بالمنطقة وهم ينظرون للمكان غير مصدقين أن يعيش أحدهم يوما والصرف الصحى يرشح من أرض غرفته فيحيط به من كل جانب .

أحمد:لكم أن تتخيلوا مع مساكن متلاصقة بهذ الشكل إن أصيب أحد قاخنيها بوباء، ستصبح كارثة وستلتهم المنطقة بأكملها.

سألت حلم:ألم تعطى المحافظة بعض الأهالى المتضررين من سقوط الصخرة مبانى سكنية ،ألم يخفف بعدهم عن المنطقة شئ؟.

إلتفت أحمد إليها : هذا ما ستعرفينه عندما تسمعى كلام السكان .

توقفوا بالقرب من أسرة تجلس خارج بيتها.. توجه أحمد لرب الأسرة، قدم نفسه ثم أشار لهم بالإقتراب.

وقف صاحب البيت قائلا : ما التغيير الذى سنجنيه إن كتبتم عنا؟، كتب عنا الكثيرون ولم يلتفت أحد .

أقبل علي على الرجل مادا يده، صافحه وقال: وإن سكتنا يأسا عما يحدث وإستسلمنا فلن يلتفت أحد أبدا .

بدت على الرجل علامات الإقتناع وبدأ بالتفاعل معهم أخرجت حلم الكاميرا وبدأت بتصوير البيوت القابعة تحت صخور جبل المقطم .

عندما أخرجت الكاميرا إلتف حولهم أخفال من المنطقة وإقترب الجيران مستفسرين عما يحدث.

تـرك علـي الأمـر للرجـل الـذى تحـدث الـيهم أولا كونـه أقـرب الى جيرانـه ويسـتطيع اقنـاعهم حتـى بـدأ كـل رجـل يتحـدث عمـا عنده.

تـدافعت شـكواهم كـل يخـرج غضـبه مـن كهفـه .. غضـبهم مـن أوضاع دفعوا اليها دفعا.

:: نحـن نعـيش فـى مزبلـة كـبيرة .. بيوتنـا نخـرت عظامهـا الشـقوق جـراء تسـرب ميـاه الصـرف الصـحى .. مـن يرتضـى لنفسـه ولأهلـه عيشـة كهـذه، نعـيش يومنـا ونبيـت وسـط هـذا المشهد.

أكـوام القمامـة منتشـرة فـى كـل جانـب حتـى جعلـت مـن المنطقـة مسـتوخنة للأمـراض وخاصـة أمـراض الجهـاز التنفسـى، اسـأل الحاضـرين كـم مـن أفـراد اسـرته يشـتكى مـن مشكلة فى التنفس أخفالا كانوا أم كبارا .

اشـار أحـدهم بيـده لشـئ مـن بعيـد : هـذه بعـض ورش الخـردة والمسـابك وغيرهـا الكـثير .. نعـم عملنـا ولا نقـدر علـى تركـه والبـدء بأعمـال جديـدة ولكـن مـن يجيرنـا مـن رائحـة صـهر

المعادن التى أكلت صدورنا وصدور أبناءنا ولا نستطيع الشكوى .. من منا يستطيع الشكوى وهى لقمة العيش؟!!

ثم تحول بنظره واشار لبيته وبيت جاره قائلا : هل تستطيع عائلة كتمان سر أو الحفاظ على خصوصية فى بيوت كهذه ولا يكفينا ما بنا وتعثر الحال حتى تأتينا مصائب أخرى فننتظر أن ترحمنا الصخور من الانتظار وتسقط فوق رؤوسنا حتى يهلل العالم على هؤلاء المساكين الذين قطنوا أماكن كهذه وانتهى بهم الأمر تحت الصخور التى ألقاها عليهم الجبل.

بعدما أفرغ الأهالى المتجمعون بعض من شحنة الغضب المشتعلة بداخلهم وقال كل منهم ماعنده استأذنهم علي ومن معه بنظرات عاجزة، و لسان حالهم يقول: ليس بأيدينا أكثر مما نفعل .

انتقلوا لمناخق مجاورة تحدث بعض قاخنيها عن رجوع بعض الأهالى التى سلمتهم المحافظة شقق صغيرة فى ٦ أكتوبر ومنطقة بدر.

بسبب ابتعادها عن عملهم فى باب الشعرية والموسكى والحسين وغيرها من المناخق القريبة من الدويقة والبعيدة عن مساكنهم الجديدة ، الى جانب تكاليف المواصلات وايجار

الشقق وغيرها فيفضلون الرجوع الى الجبل ليأويهم أحياء وأموات.

لمحت حلم سيدة تحمل دلوا من الماء سألت علي : ليس عندهم توصيلات للمياه أيضا ؟.. نظر اليها والتحف الصمت فكل شئ أمام أعينهم خيال.

أنهوا ما جاءوا من أجله ولكن لم يخرجوا من المكان مثلما دخلوه، غرق كل منهم فى تفكيره .. صغرت كل مشاكلهم أمام ما رأوه.

حمد كل منهم ربه على أنه أعطاه منزلا نظيفا يستوعب تعبه بعد نهاية كل يوم شاق وأسرة توفر له ما يريد ، قدرته على استكماله لتعليمه وغير ذلك الكثير مما لا يجده ساكنى تلك القبور المسماه مجازا مساكن.

وصلت حلم منزلها شاردة تناولت غدائها وهى تفكر.. قامت لغرفتها.. أخرجت هاتفها وبعثت ليسرا رسالة قصيرة : شكرا.. بسبب الأسرة خبرت شيئا كنت اجهله ::أن الله اعطانى الكثير::.

فى الصباح حضرت محاضراتها وبعد ان انتهت خرجت تبحث عنهم فوجدتهم فى جانب قريب بساحة الكلية حيث حدد للاجتماع .

حيتهم فحيوها بمثل ما حيتهم به وبدأ علي بعرض ما جمعه من معلومات .. قسم الأدوار وخلب من كل فرد اختيار ما يود شرحه فى المعرض .. تأكد من جاهزية الصور التى التقتطها حلم فأخبرته أنها جاهزة وستحضرها غدا.

أضافت ناردين على كلامه: تبقى لنا تحديد مكان اقامة المعرض .

ردت يسرا : حدد لنا الموظف المسؤول عن المعارض المكان .. المهم نتحضر جيدا لنصل الى ما نهدف اليه من المعرض.

أومأت ناردين برأسها موافقة على كلامها.

اذا أمضيت حياتك باكملها لا تفعل سوى الأشياء التى يريدها من حولك .. تبتعد عما تريده .. عن حلمك المنتظر .. تقف بمكانك تراه يحتضر أمام عينيك يستغيث بك فيخذله صمتك كما خذلك الأخرون.

فقط لأنهم لا يريدون منك فعل هذا.. تفضل أن تزرع بأرضك ثمارا ليست لك خوفا من أن يرموا بك فى جحيم غضبهم.

لم تحارب ولو مرة واحدة لتستنشق هواء جنتك فيطرد روائح الجحيم المتغلغلة فى خلاياك.. ستعرف شعور حلم وهى تجهز لما أرادت أن تكونه .. أن يستفيد الأخرون

بموهبتها .. تتكلم فى الأمور السياسية وقتما أرادت بلا خوف بدون تحذير أمها المتكرر من الحديث فى السياسة درءا للمشاكل التى يمكن أن تضع حدا لمستقبل وحياة المجنون الذى تسول له نفسه وينتقد السلطة وينال من ألهة صنعت من الخوف والقبول بالافساد مادمنا نأكل ونشرب، نقبل بالظلم مالم تطالنا يدا من أيديه.

قطعت الطريق ترى شيئا جديدا فى الحياه لم يجربه سوى من عاد حلمه ليغازله مرة أخرى بعد سنوات من الجفاء.. أختزل وجهها فى ابتسامتها التى وزعتها على كل من مر بها فى الطريق.

وصلت المنزل .. أخرجت صندوق صغير يحوى بعض القصاصات التى تحمل لحظات فرحها .. كلما حدث شئ يسعدها كانت تغلق غرفتها وتفضى للورق بما أسعدها .. ثم تعيده أدراجه مرة أخرى.

أحضرت قصاصة وبدأت كلاماتها بالتربع على أسطرها::: أيها الحلم المخبأ فى غرفة من غرف قلبى.. خبأتك ليس لعيب بايمانى بك ، ولكن لئلا تطلك أيديهم العابثة ويكسرك خوفى عليك.. انتهى وقت الاختباء:::

أعادت قراءة ما كتبت ثم خوت الورقة ووضعتها فى الصندوق.. اختارت قصاصة أخرى كتبتها قبلا .. فضتها

ومـــا ان وقعـــت عينهـــا علـــى اسمـــه حتـــى أعادتهـــا وأغلقـــت الصـــندوق .. ألقـــت بـــه فـــى مكانـــه وابتعـــدت عنـــه كمـــن رأى عقربا .

قامـت تلـهى نفسـها عـن الـتفكير بـه فمـا جـاءت فكـرة الصـندوق الا لتحـــتفظ بـــذكرياتها معـــه ..مواقفـــه التـــى كانـــت خعمـــا لتوقعها فى شراكه أكثر.

بكـت بحرقـة بعـد أن فشـلت فـى ابعـاده عـن تفكيرهـا .. بكـت كـل الأوقـات التـى تمنـت اسـتمرارها والأوقـات التـى تمنـت أن تأتيهـا معـه.. اشـتياقها اليـه رغـم خداعـه .. مشاكسـته اياهـا التـى لم تحب منه أكثر منها

أفرغـت حنينهـا اليـه وسـكبته دموعـا تسـقط مـن عينهـا كمـا سقط هو .

قامـت وبخطـى متثاقلـة ذهبـت نحـو المطـبخ .. وضـعت رأسـها تحـت مـاء الصـنبور ثـم خبـأت عينهـا الباكيـة عـن عـين أمهـا وانسـحبت لغرفتهـا متعللـة بإنشـغالها فـى تجهيـز نفسـها للـذهاب لصف الكمان .

لم تنقطع عنه أبدا منذ بدأت خطواتها المتزايدة فى خريق التصوير .. تأججت رغبتها فى امتلاك شئ أخر تسعى اليه .. تتعلم أكثر عن شئ تجهله وكان الكمان.

حفزها شغفها القديم به أن تتوغل بتعلمه أكثر فكلما حصلت على حلم زادت شهيتك للحصول على حلم أخر يبقيك حيا ويضخ شيئا من حيوية التغيير لأيامك

كانت مسرعة الخطى فى خريقها الى المكتبة حين علا صوت الهاتف معلنة شاشته عن اتصال مريم .

ابتسمت وأجابت بسخرية : من المتصل ؟.

مظلومة جارت عليها صديقتها وعندها استشارة ، ردت مريم بسخرية.

وقد اتسعت ابتسامتها : استشارة! اذن دعينا نتفق على الثمن .. كم ستدفعين؟.

وقد انفلتت ضحكتها : لكمتين فى وجه حضرتك الجميل ، أنستك الكاميرا

صديقتك .. ماذا سيحل بك الآن ان أفشيت سرك عند أعتاب عمى وعلق جسدك على باب زويلة.

حلم : لسان خويل مثل السيف لا يوظف الا فى التهكم على خلق الله .. هل تستطعين الحضور معى .. غدا أول معرض لى مع الأسرة وسوف أعرض صورى.. ستأتى بالتأكيد.

مريم مشاكسة : أفكر

المعرض غدا فى ساحة الكلية الساعة العاشرة .. عندى درس كمان وان تأخرت سيعلقنى المدرب على باب زويلة وليس أبى وسأكون عبرة لمن يعتبر، قالتها حلم مسرعة

مريم: عفوت عنك يا مسكينة.

دخلت وهى ترتب كل المبررات للتأخير وقبل أن تلقى لديه ما عندها قال لها : اتفضلى يا حلم لم نبدأ بعد.

ابتسمت وأسرتها فى نفسها : سترك يا الله هل هذا هو هدوء ما قبل العاصفة أم ماذا؟.

رغم محاولتها أن تبتعد عن التفكير فى التغيير المستمر الذى يطرأ عليه الا ان ظنها يتحول ليقين يوما بعد يوم .

كان احترامها له ينمو سريعا بعدما لمحت قلبا صافيا يختبئ وراء هذه الملامح الخشنة التى يتصنعها أمام من حوله ، ونفس خموحة منقوشة ملامحها باحتراف فى كل كلماته اليهم ولكنه لم يتخطى كونه احترام.

أما هو فحاول جاهدا أن يخبئ قلبه الثمل من خمر لم يذق له طعما قط وراء وجهه اللامبالى .

سألهم اذا أمضوا وقتا كبيرا فى اتقان ما علمه لهم الدروس الماضية وهل يجد أى منهم صعوبة فى الامساك بالألة بالشكل الصحيح الى الأن .

ولما لم يجد من أحد شكوى خاصة بصعوبة فى التعلم تطرق سريعا لما شرحه مسبقا ثم بدأ بعرض لمحة سريعة عما سيعلمه لهم .

فنط كل خطوة وبدأ تدربيهم عمليا .. قام بتعليمهم كيفية استخراج الصوت السليم من الكمان من خلال تدربيهم على الوضعية الصحيحة للأصابع خلال امساكها بالقوس ودور أصابع اليد اليمنى فى وزنه .

بدأ بنفسه على آلته ثم خلب منهم تجربة ما فعله .. مر بينهم يعدل وضعياتهم ويصحح الأخطاء .

قضى وقتا خويلا ليمكنهم فيما بعد من الاستمرار بشكل صحيح.. يدل هذا على المكان المثالى لاحتكاك القوس بالأوتار لاخراج النغمة المطلوبة ويعلم أخر كيف يستخرج صوتا قويا أو ضعيفا .

أخذ نصف ساعة زيادة على المعهود ولما شعر بتسلل التعب اليهم قال : انتهينا وخلب منهم أن يتدربوا كثيرا لإتقان الخطوات التى علمها لهم وقال المرة القادمة : سأتطرق الى دوزان الألة وكيفية الانتقال بين الأوتار.

ضم أحد الحاضرين حاجبيه وقال : دوزان ! . فابتسم رامى وقال له : ::أتريد أن نقضى نصف ساعة أخرى أشرح لك ما معنى الكلمة::. فضحك الأخر وقال : الطيب أحسن .

ضحك الجميع وحملوا حقائبهم وذهبوا وقبل أن تلحق بهم أستوقفها متسائلا : حلم .. لماذا تأخرتى اليوم ؟. صمت برهة ثم تابع : لاحظت أن خيالك أخذك بعيدا عما أقول .. شعرت أنك بمكان أخر.

ابتسمت بخجل : لأول مرة بحياتى أصور بكاميرتى صورا لا أخبأها حتى لا يراها أحد خوفا من أن أرى بعينه نظرة استهزاء بشئ فى نظره لا يسمن ولا يغنى من جوع.. غدا صورى سيراها خلاب الكلية بدون خوف وبدون أن أفكر فى رد فعل أو أنتظر ثناء منهم أو أخشى لا مبالاه.

رامى مقاطعا : صور! أعرف أنك فى كلية الحقوق إذن ما أمر هذه الصور؟.

حلم : قصة طويلة سأحكيها لك فى وقت آخر .

قالها مبتسما : سأنتظر.

فى الصباح ذهبت ودقات قلبها تتسارع .. أرادت أن تقفز .. تجرى ..توقف كل من تراه وتقول لأول مرة سأفعل ما أريده.. سأكون حلم وليس أى شخص أخر.

قصدت ساحة الكلية وبدأوا بتحضير المعرض وأخذ كل منهم دوره.

::معرض مزعج جدا وليس له فائده خصوصا هذه الصور لصاحبتها البلهاء ::.. التفتت الى الوراء وهى تبتسم لصاحبة الصوت، التقطت اللعبة : لم يطلب أحدا منك الحضور ولا ابداء رأيك العظيم .

عزمتنى منظمة من المعرض .. يمكننى الذهاب حالا ، قالتها مريم مداعبة.

حلم: أمرى الى الله علي تحملك معى صبرنى يا رب قدرى أن أصاحب المجانين.

التهت بمريم حتى توقفت وتسمرت وهى تراه أمامها .

ليس بالوسيم ولكن قسماته تحمل خيبة خالطتها مسحة من الحزن تركتها الأيام.

أخول منها قليلا .. بعينيه بريق متبقى من شغف راحل وأخر قادم..

يكسوه بعض الغموض مما أعطى له كاريزما تجعله محط الأنظار.. كل الأنظار عداها.

جذبتها مريم من يدها : شردت الى أين ؟ ومن هو ؟ ولماذا ينظر اليك هكذا ؟!.

تلعثمت من الصدمة : مدرب الكمان..قالتها كمن أفاق من غيبوبته .

مريم : من ؟!.

أجابتها : اسكتى واتركى فضولك جانبا وسأشبعه لك عندما يرحل، أرجوكى ألا تخجلينى أمامه.

مريم ساخرة : أكيد أتى لاستشارة قانونية عن قلبه المعذب .. علمك الرجل العزف على الأوتار فأول ما عزفتى على أوتار قلبه.

بجدية ردت متضايقة من كلامها : مريم .. كفى عن هذا الحديث ..واصبرى لنرى ما أتى به.

صمتت قليلا وهى تقسم نظرها بينه وبينها ثم تابعت : سوف أقتلك بعدما يرحل .

وقبل أن تكمل مريم مشاغبتها إقترب مبتسما : جئت لأعرف ما هى قصة الصور..

هل ما يحتويه هذا المعرض تصوريك ؟.

لجمت مريم ضحكتها قبل أن تنفلت واصطنعت الجدية.

حلم: نعم.. ذهبت للدويقة مع بعض زملائى وقمت بتصوير ما أرادوه.. أكملت وهى توارى توترها : ما رأيك ؟.

هل رأيتها مجرد تصوير فوتوغرافى لصور عادى ؟.

رامى : بل تصوير عين ترى المختلف فى الأشياء العادية بمهارة مصور مجنون بالفوتوغرافيا .

علقت مريم بصوت خافت وهى تبتسم : المجانين يتلاقوا.

انتبهت حلم لمريم خلفها فقدمتها له ثم انسحبت مريم وهى تقول: سأرى باقى أجزاء المعرض.

زجرتها حلم بعينيها محذرة : إياكى والرحيل .. فأشارت بحركة من يدها : سأتى سريعا ثم تابعت خريقها.

:: شكرا لمجيئك لكن لم تقل أنك ستأتى:: قالتها لتوارى غضبها مما فعلته مريم.

أجابها : هل انزعجتى من مجيئى ؟.

عقبت مسرعة : لا لا أبدا .. أنا فقط مندهشة لكن أسعدنى حضورك لأعرف رأيك بتصويرى وهل لى مستقبل أم أعتزل قبل أن أبدأ.

-لا تسألى أحدا أبدا رأيه بما تريدى.. تشبثى به وقاتلى من أجله مادمت تحبين شيئا ستبدعين به.

وقد زادت دهشتها : لم أتوقع منك هذا الكلام أبدا .

- سمعت رأى أحدهم بموهبتى قديما فجعلنى أتخلى عنها إلى الأبد.

حلم : موهبة ! غير الكمان ؟! ما هى ؟ ومن هو هذا الشخص؟ لجمت لسانها قبل أن تكمل بعد أن شعرت أن هذا تدخلا بحياته .

مغيرا الموضوع : سيأخذنا الحديث ولن تشرحى لى ما هى فكرة المعرض.

وهى تشرح له، لاحظت مجموعة من الطلاب فى جانب لا قريب ولا بعيد عن المعرض يشيرون الى ما يحدث ويتكلموا بجدية .

التهت عنهم عندما حضرت مريم .. دقائق ونظرت باتجاههم فوجدتهم انفضوا ولم يبقى منهم سوى ثخالب واحد وقف كأنه مترقب ينتظر شئ ما .. تابعته وهى تتكلم مع رامى ومريم، عشرة دقائق وعاد زملاءه اليه وأشار أحدهم خلفه كأن أحدا سيتبعهم قريبا

لاحظ رامى شرودها وعدم مشاركتها فى الحديث معه ومع مريم فالتفت الى الجانب التى تنظر اليه وقال لها : ماذا هناك ؟.

انتبهت إليه وقبل أن ترد رأت مجموعة من الرجال خمنت أنهم موظفين عاديين .. توفقوا أمام هؤلاء الطلاب الذين ما ان رأوهم حتى اشاروا لهم نحو المعرض.

تابعتهم بعينها متوجهين إليه، الغضب بادى على وجوههم .

تجمع أعضاء الأسرة والتفوا حولهم وبدأ الرجال الوعيد بأصوات عالية خالبين إنهاء المعرض.

إقتربت تسأل ناردين بعدما فتشت بعينها عن يسرا التى اختفت بعد دقائق من بدء المعرض : من هؤلاء؟.

فأجابتها : المسؤولين عن المعارض فى الكلية ، تابعت بعد أن زمت شفتيها : رسل القمع المنتشرين فى كل مكان .

تعالت أصواتهم أكثر بالتهديد إما بالغاء المعرض أو ايقاف الأسرة عن العمل نهائيا .

اقتربت موجهة حديثها الى أحد الموظفين : ما بها الصور واقع نعيشه لم نأت بصور من دول أخرى ولم نؤلف حديثا من عندنا .. لم نعرض سوى الواقع .. ولكنها تكلمت أمام من تصم أذانهم عما لا يريدون.. نظر لها أحدهم نظرة فارغة وكأنها عدم ثم أكمل إلقاء أوامره عليهم.

ارتفع صوت علي أمامهم : لن يلغى المعرض.

وفى لحظات قد مزق كل ما فى المعرض وألقى به على الأرض وكل من وقف فى المعرض وفى الساحة اكتفى بنظرة عابرة لا تفتح مجالا لأسئلة كثيرة ليس لها اجابات .

على مقربة من أعضاء الأسرة علق رامى موجها حديثه لحلم ومريم : الخفافيش أصبحت تخرج فى الليل والنهار ويا للأسف بعد ثورتين.

علي بغضب : لن نفوتها لهم .. ذكرى محمد محمود قريبة وسيكون المعرض أكبر مما مزقوه.

إنتهى اليوم على غير ما تمنت وبدأت فى التفكير وهى على أريكتها بالمنزل : ماذا لو عرف أبى والأدهى ماذا لو علم أنى كدت أخسر مقعدى لو تم التحقيق معنا بعد رفضنا لفض المعرض .. ماذا لو وضعوا أسماءنا فى قائمتهم السوداء وحرمت من إكمال دراستى إذا حدث شئ أخر.

لجمت خوفها وكبحت جماحه قبل أن يقودها الى دفن أحلامها فى مقابره .. أخذت تشد من عزيمتها وهى تقول: تشجعى يا حلم .. لا تضيعى الفرصة لتكونى ما أردته دوما، لكل شئ ثمن .. مادمت مقتنعة بما فعلتى فلماذا يحبسك الخوف وراء قضبانه.

زفرت وقالت : يا الله.. ماذا أفعل ؟.

إقتربت مريم من بيتها فى حين رأته وكان أخر من تتمنى أن ترى فى نهاية اليوم

أسرعت خطاها متجاهلة رؤيته فنادى عليها : مريم .

أسرعت ولكنه لحقها .

-::أرجوك خمس دقائق فقط:: .

مريم : أرجوك أقتربت من بيتى ولا شأن بيننا لنتحدث به .

همت بإكمال خريقها حتى إستوفقتها كلمته : بيننا حلم .

نظرت له بإستهجان وقالت :

ليس بيننا شئ وهى بألف خير بدونك.

أعطته ظهرها فتابع : لم أسمع رأيها .

نظرت إليه بغضب وأخرجت الكلمات وكأنها تضغط عليها :

من الأفضل ألا تسمعه .

وأكملت الطريق.

تابعها بعينه وهى تسرع خطواتها كى لا يدركها.. تذكرها وهى صغيرة عندما كانت تقطع الطريق من بيتها إلى حلم هرولا لتلحق بهما قبل أن يذهبا إلى المدرسة بدونها، كم كانت تغار عليها منه ولكنها كانت تقدرحبه لها ، تذكر آخر كلماتها إليه عندما بدأ بالإقتراب من الأخرى قبل شهرين فقط من فعلته..حدتها وهى تتحدث إليه ، كانت المرة الأولى التى تكلمه بتلك اللهجة الحادة :: إن ألحقت بحلم أى سوء فستصبح الأب الذى خان ابنته::.. حدث نفسه بعد رحيلها:

:: تغيرت الوجوه بعد فعلتى .. تبدلت قلوبهم عنى .. لم أكن أعلم أنك تأشيرتى إليهم:: .

.

كنت وخنى الذى أعطانى كل شئ حتى مكانتى فى قلوب الأخرين.. أنت من صنعها وحفظها رغم إنشغالى عنهم.

أنت الوخن الذى تبطرت على أنعمه خمعا فى وخن أخر حتى أصبحت شريدا عاريا بلا وخن يأوينى.

لم أتخيل وأنا أبنى سدا من الخيانة وسط مدينتنا .. يحول بينى وبينك ، أننى أول من سيتأذى من هدم عمر قضيناه معا.

عندما أردت أن أرحل اليك مذيلا بخيباتى لم أجدك الا سرابا يأبى أن يعود يقينا.

عهدتك دوما قوية الا معى .. عنيدة الا أمامى مطالبى.

لم أظن يوما أنك سترمينى بقسوتك فى المدينة الحالكة التى يرمى بها الظالمون إثر دعاء من ظلموهم.

ولكنى سأرجع .. لا أتحمل أن أرى عيناكى اللاتى ظلتا تنيران سمائى كنجمتين حارستين أن تحملان النور الى سماء رجل غيرى.

أعدك أنى سأعود::.

كانت تتدرب وتجرب ما تعلمته على الكمان حين هاتفتها مريم .

وهى جادة على غير عادتها : ماذا تفعلى؟.

أتدرب على الكمان ، ما به صوتك هل حدث شئ ؟ .

مريم بصوت مرهق: لا لم يحدث شئ ، أخمئن عليك فقط .

حلم : لم أعتاد منك هذه الرصانه ما الأمر؟.

مريم : كنت أتصل لأسألك عن أمر .

حلم : ما هو؟.. تكلمى .

صمتت مريم.. خافت أن تحدثها عن سؤاله عنها بعد كل ما فعله فتدخلها فى دوامة أخرى ، بعدما استقرت حياتها والتفتت لمستقبلها وفى الوقت ذاته ماذا سيحل بها ان أخفت الأمر بعيدا عنها وتفاجأت به ذات يوم أمامها.

زاد قلقها على الجانب الأخر وهى تنتظرها لتتحدث فرق صوتها : مريم ما بك لم الصمت؟! .

- :: إن جاء عمر معتذرا وخلبك من والدك هل ستسامحيه؟

::ألقت هذا الكلمات إليها بهدوء شديد رغم ما يدور فى عقلها.

تلقت السؤال على الجانب الأخر فاهتزت أوصالها وسرت رعشة بأسفل ظهرها.. إبتلعت ريقها بصعوبة واختنق صوتها وقالت : ماذا حدث؟.

تماسكت وبكل ثقة قالتها : لا لم يحدث شئ.

حلم : لا تكذبى.. أختنق صوتها أكثر محاولة منع نفسها من البكاء صمتت برهة ثم أكملت: منذ ما حدث وأنت تكرهين سيرته وتتعمدى تجاوز حديثى عندما أذكره .. هل رأيته؟.

مريم: لا لا لم أره ولكن تذكرته عندما رأيت مدرب الكمان واهتمامه بك ومجيئه فقط ليرى صورك.

حلم متسائلة : متأكدة ؟.

بنفس الهدوء : أكيد

أخرجت زفيرا حارا واستجمعت قوتها :

:: على العموم ليس لى دخل بمجئ رامى ، نعم فرحت أنه إهتم وجاء يستفهم عما حدثته ، فرحت عندما شجعنى عما أفعل ولكن علاقته بى لا تتعدى كونها علاقة إحترام ، لا أهتم إن كان هو أو أى شخص أخر::.

مـريم أكملـت لتنسـيها مـا قالتـه عـن عمـر : هـذا مـن جانبـك .. مـاذا عنـه؟ . لا أعتقـد أن مجـرد إحترامـه لـك يجعلـه يـترك عملـه ويأتى إليك ليعرف أمر صورك .

حلم : لا أعرف ولا أهتم.. كفى عن الحديث عنه .

مـريم : حسـنا .. هـل فكرتـى فـى مصـيرك مـع الأسـرة.. ألم تفكرى فيما لو تعرض لك أحد الموظفين بسوء؟.

حلـم : لا تقلقـى سـأكمل معهـم .. فكـرت قبـل ذلـك كـثيرا ومنعنـى جبنـى عـن كـثير ممـا أردت .. لـن يضـرنى أحـدا إذا أراد الله بى خيرا.

مريم : إذن ستشتركى معهم فى إحياء ذكرى محمد محمود .

- ::بالتاكيـد الثـورة كانـت ولم تـزل هـى أغلـى حلـم امتلكتـه وجـاءت الفرصـة لأشـارك ولـو بتـذكير الطـلاب عمـا حـدث أمـام إفـتراءات كـثيره تثـار عمـن شـاركوا فـى هـذا اليـوم.. إحتـد صوتها وعلت نبرته أكثر ثم تابعت:
- وفضـح الأخـوان الـذين شـاركوا المجلـس العسـكرى قتلـهم بالصـمت مـن أجـل كراسـى البرلـمان.. نعتـوهم بالبلطجيـة ثـم يتصـنعون البكـاء علـيهم الآن بعـد أن خسـروا السـلطة .. يقتلوا القتيل ويمشوا فى جنازته:::

ضحكت مريم : هدئى من روعك ، ما ان يأتى ذكرهم حتى ينقلب حالك.

ردت : لن أنسى ما فعلوه بالثورة ما حييت.

إئتونى بإذن من عميد الكلية وسوف أوافق على إقامته::. ::

على : لماذا العميد ؟ .. حضرتك الموظف الموكل بنشاط الأسر الطلابية

وكل ما يخصهم .

-:: هذا هو المتعارف عليه:: .

على : متعارف عليه ! كيف ونحن مسبقا كنا نأخذ تأشيرة الموافقة منك.

- أوامر جديدة .. ليس لى ا يد بها .

قالتها يسرا : أوامر! .

زم الرجل شفتيه وحرك كفيه فتيقن علي أن الأمر أكبر منه فشكره وإستأذن منه وإنسحب ومعه يسرا .

يسرا : من الواضح أن ما يفعل الآن ردة فعل على ما حدث المعرض

السابق.

.

صمت علي مؤكدا كلامها وانشغل بالتفكير فى حل للموقف..

أخرجه رنين هاتف يسرا من صمته

فنبهها إلى رنين الهاتف فالتقطته و أجابت : حلم .. سكتت لتسمعها ثم تابعت : نعم سنصعد لغرفة العميد .

لحقت بهم وفى غرفة السكرتارية إنتظروا السماح لهم بالدخول.

بعد نصف ساعة سمح لهم بالدخول .. تقدم علي.. ألقى السلام وحدث العميد بشأن المعرض فقال لهم : هذا ليس إختصاصى .. إذهبوا لوكيل الكلية لشؤون الطلاب .

تبادلوا النظرات ثم انسحبوا واحدا تلو الأخر .. توجهوا نحو مكتب وكيل الكلية ، دخلوا بعد نصف ساعة أخرى فطلب منهم إذن كتابى من العميد بموافقته على المعرض.

خرجوا وتوجهوا للعميد فأخبرهم السكرتير بأنه مشغول ووعد بإدخالهم غدا .

ماذا يحدث كل هذه المماخلة من أجل الموافقة على المعرض ، قالت حلم منزعجة.

علي : موقن أنهم لن يعطونا الإذن بإقامته ولكن دعونا نجرب غدا .

فى اليوم التالى تلاقوا أمام غرفة العميد .. قابلوه فأرسلهم لوكيل الكلية وقال : المسألة لا تحتاج لموافقة كتابية .. سأتصل به ليعطيكم الإذن ..

إذهبوا إليه الآن.

جلسوا بجوار خالب آخر ودخلوا معا .. حدثوا الوكيل بما قاله

العميد فأجاب: لم يتصل بى ولا أستطيع إعطاءكم الإذن قبل ذلك وهذا ينطبق على كافة النشاخات حتى الرحلات .. نظر إلى الطالب الآخر الواقف خلفهم وقال : ماذا تريد ؟.

تقدم الطالب وقال : أريد تأشيرة حضرتك على رحلة ستقيمها الأسرة للاسكندرية فأشار الوكيل له بيده أن ائتنى بها.. وقعها وذهب الآخر مغادرا الغرفة .

بهتوا مما حدث وإلتقت أعينهم مندهشة وقال علي : ماذا عنا ؟.

-:: من الآخر وضعت أسماءكم فى القائمة السوداء

ولن يعطى لكم إذن بإقامة لا هذا المعرض ولا أى

نشاط آخر:: ، قالها الوكيل بنبرة تشى بالسخرية أكثر منها الى الغضب ثم أكمل : خفح الكيل من هذا الموضوع اخرجوا الآن لا أستطيع أن أقدم لكم شيئا وتعودوا على ذلك وكفوا عن المحاولة.

.

أكفهر وجه علي والفتاتين وخرجوا من دون أن ينبسوا ببنت شفه.

::جاءت ذكرى محمد محمود بكل ما تحمله من تاريخ على عتبات التزييف بين إعلاميين يوزعون الخيانة والبلطجة

على خلق الله كأن التهم وفيرة وبدون ثمن ولا عقاب وبين شعب لا ينظر الى مستقبله البعيد فقط اليوم وغدا ما يفكر به ، لا يشغل بالهم شباب خرجوا من بيوتهم يودعون أم تحنو وأب يحمى ، فراش وثير ، فتاه تحب وأخت تشفق من أجل مستقبل لا يقبل إلا أن يدفن تحت تراب الوخن وهو فى رحم الغيب.::

كتب علي هذه العبارة علي حسابه علي الفيس بوك ثم أغلق هاتفه وجلس بجوار سريره شاردا .. ابتسم حتي خانته أدمعه.. تذكره.. تذكر نظرته كم لازمته وهو يحتضر.. يده التي قبضت علي معصمه قبل أن يسقط أرضا .. أنفاسه اللاهثة وهو يبعد حاجزا يفصل بينهما رويدا رويدا.. سكنت الدنيا بجواره رغم صخبها.. تعاقبت انفاسه أكثر وهو ينظر لمن حوله يستنجدهم حتي توقف ضغط كفه علي معصمه.. عاد بنظره اليه مبهوتا بأدمع متلاحقة.. أخذ يتحسس كل قطعة من جسده يبحث فيها عن بقايا الحياة فلم يتلمس سوي هروبها بعيدا عنه.

بكاه حتي اختنق.. بكي دمه الذي هدر بلا فائدة.. بعد عامين من فقدانه أصبح خائنا في نظر الكثير.

صرخ بعلو صوته يناديه : أين أنت؟.. لم تركتني؟.. من أجل من.. من أجلها؟.

فتح الباب فرآها بوجهها الفزع.. نظر نحوها باكيا يطلبها.. هرولت نحوه تحتضنه فزعة: ما بك؟.. مابك؟.

قالها وسط نحيبه: لماذا تركنا يا أمي؟.. لماذا؟.

أبعدته تتفحصه حتي ضاقت أنفاسها واجهشت بالبكاء.

:: اعتصم أهالي لشهداء يطالبون بحقوقهم.. واجهتهم قوات الشرخة بغبائها المعتاد مما ادي الي التحاق الأخرون بهم رافعين لافتات مطالبين المجلس العسكرى بوضع خطة زمنية لتسليم الحكم لرئيس مدني::، أغمضت عينها وهي تتذكر .. كانت جالسة علي أريكتها تتابع مقدمة البرنامج وهي تقدم بهذه الكلمات حلقتها.. كانت تتابع بترقب حتي خرج من غرفته علي اثر الصوت .. التفتت اليه وهو يتابع باهتمام.. وجهت اليه حديثها: أحمد.. لا تقف هكذا، اجلس بجواري وتابع معي.

:: لن أقف يا أمي، قالها وهو متجه لغرفته.. قامت لتري ما به فوجدته يبدل ملابسه، بحذر سألت: ماذا تفعل؟.

:: لن أفعل شيئا يا أمي::.

دق ناقوس الخطر بقلبها وسكنت وهي تراه يلتقط هاتفه ويهم للخروج من الغرفة.

كمن استفاق من غفلته، حدثته فزعة: قل لي أنك لن تذهب.

:: أمي أرجوك.. لا تقلقي سأذهب لرؤية أصدقائي.

أمسكته من ذراعه: لا تذهب .. قبل يدها وخرج قبل أن تكمل.

تساقط دمعها حارا هادئا عندما وجدت أخيه علي يفتح الباب بعد منتصف الليل بدونه.. عينه المتورمة من أثر البكاء تشي بشئ ترفضه.. هرولت نحوه تسأله: أين أخوك؟، فاحتضنها وبكي.

رأت يسرا العبارة التي دونها علي على صفحته فتذكرته عندما قص لها السنة الفائتة عن الذكري: :: فى هذا اليوم التاسع عشر من نوفمبر لم يفقد أحمد حرارة وحده عينه الثانية بعدما فقد الأولى فى الثامن والعشرين من يناير فى نفس العام بل كان اسما في قائمة خويلة حرمت من نعم كثيرة امتلكتها.. حرموهم نعمة البصر ليحولوا بينهم وبين رؤية المستقبل .. سكت لحظة ليقاوم ضعفه ثم أكمل:

مستقبل مغدور به خجنوه لكى لا تطلهم فيه يد العدل..
إستمرت الأحداث فى شارع محمد محمود، الشيخ ريحان، خلعت حرب وبعض الشوارع المجاورة من يوم التاسع عشر حتى الخامس والعشرين من نوفمبر .
كل هذه المدة ولم يتدخل المجلس العسكرى لإنهاء ما يحدث ..
لم يحركه شباب قتلوا وأصيبوا ورميت أجسادهم بجانب صناديق القمامة .
لم تكتب الشرخة شهادة وفاتهم وحدها بل بصمت من أسموا أنفسهم بهتانا وجورا بالإسلاميين الذين
لم يحملوا راية الإسلام الا من أجل الكراسى التى حلموا بها منذ عقود.. إشتروا الجنه وباعوها لمن اختارهم فى الانتخابات البرلمانيه فى الثامن والعشرين من هذا الشهر وبعد ثلاثة أيام فقط من نهاية الأحداث.

تنكروا للدماء والتهوا بفتح خزائنهم لغنائم سيجمعوها فى البرلمان وقالوا جملتهم
الشهيرة ::ايه اللى وداهم هناك:: ، هكذا باعوا الثورة ولهثوا وراء مطامعهم وجاءوا الأن يبكونهم كما تبكى التماسيح

ضحاياها بعد أن خدعهم ظنهم بأن النسيان وجد خريقه إلي من أهانوهم قبلا واعتبروهم خائنين .

أرادوا الآن الخروج لإحياء الذكرى فتحولت هتافاتهم من:: المشير يا أمير:: إلى:: يسقط يسقط حكم العسكر::.

تذكرت نبرة صوته التي تغيرت فجأه وخالطها دمع معتد بنفسه يأبي السقوط: باعوه.. باعه الجميع حتي أصبح موته دون فائدة.

ارتبكت فما عهدته ضعيفا من قبل، سألته: باعوا من؟.

جالسة بجوار أمها تذكرت حديث مريم اليوم

تعليقا علي الأحداث::: جاءت الذكرى لتحمل نذير شؤم جديد :: قانون التظاهر:: ، ابتسمت ساخرة: من جاءت بهم المظاهرات عن خريق شباب تشربت أجسادهم رائحة الغاز المسيل للدموع وألفت أعينهم خرخوش ورصاص حى ومطاخى يصيب تارة ويخيب أخرى .. ضاقت صدورهم بالمظاهرات .. جاءت عندهم وأصبح أبطال الأمس الذين أزاحوا الإخوان عن الحكم لشياخين اليوم لمطابتهم بأبسط حقوقهم . استغلوا الموقف الذي وضعنا به الاخوان وأصدروا

القانون من أجل وضع القيود فى أيدى وأرجل شباب الثورة ليكفوا عن المطالبة بغد أفضل وحق هنا وحق هناك.

اندهشت كثيرا لحماستها والتفتت اليها بتعجب والأخري تكمل حديثها ثائرة:

أشهر السيف الذى جاء بهم فى وجه ثورة يناير ورمى بأصحابها فى السجون

يحاكمون هم لا الجناه الحقيقين الذين سرقوا وأفسدوا .

ابتسمت حلم بعدما أكملت مريم حديثها وسكنت تتأملها ثم قالت : تتحدثين عن الموضوع بنفس حماسته.

:: من؟.::

::عمر، قالتها بهدوء وذهبت بخيالها اليه يوم علق علي ما حدث بعدها بأيام:

:: أحداث محمد محمود ليست الأولى .. منذ شهر فقط أستشهد دانيال وأصحابه فى أحداث ماسبيرو لم تجف دماءهم حتي تلحقها دماء أخري.. استشهدوا ليأتي صاحب البدلة العسكرية وأصحاب اللحي ليملأوا كؤوسهم بدماءهم التي سالت علي الطرقات ليشربوا كأسا في صحة الكراسي المنتظرة.

سمعت صوتها عاليا فانتبهت اليها : الي اين ذهبتي .. تذكرته صحيح؟.

ذهبت بعينها بعيدا عنها وقالت :لا .

إجتمعوا باكرا لتحضير المعرض رغما عن مسؤولي الكلية الذين رفضوا اعطائهم اذنا باقامته..

بدأوا بتثبيت اللوحات الورقية بعضها على حامل لوحات متحرك شارف على التهالك من قلة الإستخدام، وجدوه فى الساحة والبعض الأخر على أى شئ صالح لهذا الغرض.

كان الطلاب المارين بهم يلقون نظرة سريعة عما يفعلون .

أخذ كل منهم مكانه وكان علي المخول للرد على جميع الأسئلة الموجهة من الطلاب لأنه حضر الأحداث قبل سنتين.

فى العاشرة فتح المعرض للطلاب ..

::صور كثيرة إمتلأت بها اللوحات عن الأحداث وعن المصابين،

تتوسطهم صوره الجثة التى سحبتها أيادى شرخيين جرا على الأسفلت وتركوها بجانب صندوق القمامة ..صور للغاز

المسيل للدموع الذى عبأت به الشواراع المحيطة بالأحداث ..

صورة مجاورة عما حدث فى الإنتخابات التى تلتها .

عبارة ::ايه اللى وداهم هناك:: مكتوبة بخط عريض أعلى إحدى اللوحات وبقلبها وجوه بعض السياسيين من الإخوان والسلفيين وغيرهم ممن قالوا هذه العبارة تعليقا عما حدث

إزداد العدد حولهم فتجمع حشد لا بأس به وبسرعة لم تكن تتصور جاءوا.. ابتعد الطلاب بسرعة فاجتازوا المسافة الفاصلة إلى اللوحات وفى خلال دقائق قطع ورمى كل ما أعدوه على الأرض وسط صراخهم وتهديدات الموظفين.

شحن الهواء وتلون بكلمات الوعيد التى ختمها الموظفين ب : شهداء ! عن أى شهداء تتحدثون.. أنتم خونة ولا تريدون للبلد الاستقرار.

خونة .. عن أى خونة تتحدث:: ، قالتها بحده موجهة عينها لمن نطق بالجملة الأخيرة.::

قل لى من الخائن؟.. الذى يدمر بلد بأكملها ويسرق ويفسد أم من ضحى بروحه كرامة لها .

جذبتها ناردين من يدها وقالت : اهدأى حتى لا يكبر الموضوع.. تناهت إليها كلمتها فاشتعلت أكثر.

.

:: لـن تعـرف حجـم مـا قلـت الا عنـدما تجربـه.. يختلـف عنـك ابنـك وعـن نظامـك فيشـارك فـى مظـاهرة فيبتلعـه خوفـك قبل أسلحة الشرخة الشريفة::.

إشـتعل الرجـل واحمـرت عينـاه وقـال : سـأعرف اسمـك وستندمين على ما قلته .

القتها اليه بثبات بعد أن لجمت خوفها : حلم .. اسمى حلم.

رد الرجل : لا داعى لمعرفة الباقى إسمك كفيل بكل شئ..

انهـى حديثـه وهـو يتوعـدها بيـده وأعطاهـا ظهـره ورحـل ووراءه باقى الرجال.

تابعتـه بغضـب ثـم انتقلـت بعينهـا ليسـرى وعلـي المبهـوتين بمـا حدث.

وقـف الطـلاب علـى مسـافة تحفظهـم مـن الشـبهات .. يتـابعونهم وهـم راحلـون .. ينظـرون إلـيهم نظـرة فارغـة لسـان حـالهم مـاذا يحدث بعد ثورتين؟.

إلتـف شـباب الأسـرة سـريعا حـول اللوحـات .. قـرروا عمـل مظاهرة تجوب الجامعة لتوسيع مساحة التعريف بما حدث .

جمعـوا اللوحـات الملقـاه أرضـا وقلـوبهم مشـتعلة بمـا حـدث ومـا سـيليه لاحقـا فالبـدايات تبشـر دائمـا بمـا سـيلحقها ..إسـتخدموا

الجزء الخلفى لها.. خطوا عليه كل عبارات التنديد بقمع الحريات وتذكيرا بأحداث الذكرى وما تلاها..

كل ما مر بعد الثورة كان أمام أعينهم ، كل من خطف نصيبا من تركة ليست له أصبح وحشا يلتهم كل شئ أمامه كل من جرب السلطة وأسكرته خمرها وشعر أن لا قوى بعده أفسد وخاح فى الأخرين كأنهم ضمن تركته إن لم يقدموا فروض الولاء وأتمروا بأمره أصبح كمن يبارز فهدا وحيدا أعزلا بدون سلاح .. يعلم أن الأمر سينتهى عاجلا أم اجلا بإلتهامه.

تيقنوا أنهم هم الفريسة التالية، إن لم يفعلوا شيئا ستدفن كرامتهم ومستقبلهم فى قبر واحد.

جمعوا أنفسهم وهدئ علي الغاضب منهم لئلا يقدموا زريعة لأحد بإيذائهم.

أرادوها مظاهرة صامتة لا يعلوا فيها صوت سوى صوت العبارات المدونة على اللوحات المرفوعة.

كل منهم ممسكا بلوحته رافعا خرفيها بكلتا يديه حاملا بقلبه حماسا مشوبا ببعض الغضب متجاورا لصاحبه يستمد منه دعما ولو بوجوده فقط.

حماس شديد يخفت رويدا رويدا كلما مر الوقت ولا شئ ..الجميع يمر حولهم ينظرون نظرة عابرة ويكملوا خريقهم.

نصف ساعة على حالهم يسيرون رافعين لافتاتهم بأيد أنهكها لامبالاه من حولهم أكثر من أى شئ اخر .. المارة والجالسين فى خرقات الجامعة يراقبونهم بحذرفقرروا رفع أصواتهم لتحميس الأخرين وايصال أصواتهم لعدد أكبر.
أخذوا الجامعة من شرقها إلى غربها ظنوا بأن التفاعل سيزداد .. ولكنه لم يتعدى كونه ظن، خذلهم العدد الكبير المملوءة به الجامعة واكتفوا بالنظر .

.

حينما يشتد الظلم لابد لأحد أن يجابهه ولكن المعظم يريد التغيير بدون تعب ولا ثمن ، يريدونه أن يأتيهم راكعا يتوسل أن يقبلوا به.

قطعوا الطريق على يأسهم وواصلوا السير وأبى التغيير أن يحدث .. لم ينضم إليهم سوى القليل فتسألت العقول ::أهو الخوف أو اللامبالاه أم شئ اخر أكثر ايلاما ::.

إبتعد كل واحد عن صاحبه بعدما نكس لافتته يجرها كما يجر التعس خيبته ..عيون زائغة وعقل هائم يفكر بمعتقل كل جريرته أنه رفع صوته وقال لا . وآخر يمر أمامه مشهد متكرر لهتافات صاخبة ولكنها خاوية تسبح بحمد من على الكرسي تبرر لها خطاياه وتمجد أفعاله لمجرد أنه صاحبها.

إفترشوا الأرض .. كل يحدث نفسه: نقوم بكل هذا من أجل من ؟ أناس اذا ضربنا من أجل قضية تجمعنا سيهربون ويتركوننا وحدنا.. أم من أجل إعلام يشيطن دورنا ويجعل منا أعداء لوخن لطالما عشقنا حتى ترابه.. من أجل أى بلد نفعل هذا ما عاد أحد يعرف .

فى زاوية قريبة جلست ورأسها بين كفيها .. أخذت تفكر هل كلما أردنا قول شئ منعنا؟ .

لم تكن يشغلها مصيرها والى أين سترسو سفينة أحلامها كما كان يشغلها قمع كل صوت للثورة.. تعلم أن هذه المعارض لن توصل أصواتهم بالشكل الكافى ولن تغير مفهوم الناس عنهم ولكنها حجرا يعيد الحياه الى المياه الراكدة بفعل فاعل .

رفعت رأسها وجدت إستسلامهم كأنه قيد كبلهم وجعلهم ملتصقين بالأرض.

التقطت الكاميرا وشرعت فى تصوريهم دون أن يشعروا

جاءها صوت يسرا الواهن بجوارها : حلم ماذا تفعلين؟.

- سأعلمك فى المساء .. كلمى علياء ويارا وهدى وناردين.

يسرا وقد زادت حيرتها : لماذا ؟.

حلم : ستعرفين.

إتسعت ابتسامته وهو يسمعها تتحدث عما فكرت فى فعله

. .

كانت عينه ترقبها وهى تتحدث مستمتعا بحديثها فما عشقها سوى لحديثها المغلف بكثير من الحماسة .

ما كان يتحمل إنسكاب الخدر بأوردته كلما أنهت جملة لها

..

تركها تكمل دون أن يقاطعها فلم تلحظ أنها أكثرت الحديث ولم تلحظ ما حل به فكانت تحدثه كما إعتادت

أن تحدث الرجال، عينها لا ترتفع إليهم إلا قليلا .. تنتقل بين الاشياء المحيطه بها.

عندما أنهت حديثها سألها عن شغفها بالتصوير : لم أرى الكثيرين ممن يهتمون بالتصوير مثلك فمن نمى حبه لديك والداك ام والدتك ؟.

إبتسمت وبشئ من الحزن قالت : لا يهتم أبى به يراه بلا فائده ومجرد التخيل ولو بلحظه بأن أستمر وأحقق نجاحا به ما هو الا ضرب من الجنون ..ينصحنى دائما

بالتركيز فى دراسة القانون والتخلص من هذا الهراء المسمى بالتصوير .

صمت قليلا ثم أجبر شفتيه على أن تبتسم لها حتى تناهى إليه صوت باقى المتدربين وهم فى خريقم للانضمام اليهم وبدء الدرس.

قبل أن أبدأ أردت أن أحدثكم عن روبورت ستيفسون، قالها رامى فقاخعه احد المتدربين :هل هو موسيقى عالمى؟.

تابع موجها حديثه للسائل :بل روائى عالمى.

ظهرت على ملامحه علامات الحيرة فتابع رامى قبل أن يسأل : ستعرف لماذا أحدثكم عنه بعد أن أكمل .

::روبرت ستيفنسون درس الهندسة بناءا على رغبه والده الذى ينحدر من عائلة كلها مهندسين ثم تحول بعدها

للمحاماه تحت ضغط والدته المنحدرة من عائلة كلها محامين ولكنه بعد ذلك بدء فى كتابة القصص والمقالات فى الصحف والمجلات ونجح نجاحا باهرا وأصبح من أشهر الروائيين العالميين .

هل تعرفوا من أى شئ استلهم قصة روايته الشهيرة والتى تحولت لعدة أفلام سينمائية . سكت قليلا فوجدهم منتبهين فأكمل :: من كابوس .. ضم احد الحاضرين حاجبه فأكمل نعم كابوس حلم به وهو يتعاخى الكوكايين كعلاج من آلام مرض السل .. إبتسم أحدهم إبتسامة فحواها تحدثنا عن مدمن كوكايين ففهم وتابع وهو يبتسم له : الكوكايين كان علاج معترف به فى مداواة الألام حينها فضحك الأخر بعدما عرف انه قرا افكاره فأكمل :

إستغل عجزه ومرضه لينجح لا ليدفن نفسه فى يأسه ويلعن الدنيا التى هزمته بالمرض.

انتظروه ليكمل ولكنه قال : ها قد انتهيت .

ضحك عندما تيقن أنهم لم يلتقطوا ما أراد ايصاله إليهم فنظر إليها فوجدها تبتسم بعد أن فهمت ما أراد ايصاله اياها .

تعجب علي عندما هاتفته يسرا وأصرت على أن يأتى ويحدثها فلم تكن تحدثه الا لأمر يخص الأسرة ، ذهب إلى المكان الذى وصفته له بالجامعه .. عندما رآها أشارت له أن يقترب .

سألها وهو على بعد ثلاث خطوات منها : هل حدث شئ؟

يسرا بجدية : ناديتك لأريك شئ ما .

دخلا حيث أشارت وما ان رأى ما يحدث حتى نظر اليها مستفسرا فأشارت نحو حلم .

بعد دقائق إنضم إليهم الشباب متلفتين حولهم يراقبون ما يدور فى المكان

::صورهم وهم مفترشون الأرض يوم فض المعرض ومزقت لوحاتهم وأعينهم منكسة كأنهم فى حداد::.

أعلى الصور مكتوب ::اليأس خيانة::، سادت الدهشة والسكون لحظات حتى تزايدت الهمسات بين شباب الأسرة:ما هذا؟!

توجهت إليهم حلم :منعوا لنا معرضا خوفا من أين يراه خلاب الكلية فقررنا اقامة آخرا وسط الجامعة ليراه عدد أكبر.. ولن يكون عن السياسة فقط كما تعودنا .. سنعرض به كافة أسباب إنهزامنا وفشل المجتمعات العربية أن

تصبح فى الصدارة إبتسم على قائلا :المتفائلون دائما ألد أعداء الانظمة.

بدأ الطلاب يتوافدون على المعرض وبعضهم يتحدث عن صور التحرش فى الشارع وسط سكون المارة.. يتحدثون عن نظرات المارة للبنت منهم المشفق ومنهم العابث واخذت الفتيات كل واحدة تحكى عما عانته فى هذا الموضوع وكأنها حلقة نقاش .. البعض يعتب على البنت ثوبها والآخر يتحدث عن حالات تحرش لمنتقبات ومحجبات ويوجه العتب لثقافة بالية توجه اللوم للبنت فقط وان أخطأت فى بعض الحالات ويقصى الشاب عن تحمل المسؤلية فالمجتمع يخاف على البنت من الدنيا ولا يخاف على الولد من الاخرة.

صور أخرى للتعصب بأشكاله الكروى والسياسى والدينى .

علا صوت بعض الشباب : هم البادئون دائما .. جمهور الزمالك دوما على خطأ وأصوات بتهكم : جمهور الأهلى من المؤكد ملائكة.. أصوات أخرى تهدئ وتلقى بالخطأ على الجانبين : التعصب الأعمى هو السبب الرئيسى وراء الأخطاء كما وضحت الصور.. متى سنلتفت لأمور أهم بكثير كالعمل ونحن غارقون فى التفاهات .. هذا اللاعب

سب الجماهير وهذا النادى يخطف اللاعب كذا من النادى الأخر .

متى سنعى أنها خطة لتلهينا عما يفعله أصحاب القرار.. هل بلادنا مرفهة ومتقدمة للدرجه التى تجعلنا نمتلك ترف الانشغال بشؤون الأندية واللاعبين ونتناسى الأمور الأهم.

وهكذا ملئ المعرض عن بكرة أبيه بالطلاب وأصبح كحلقات النقاش .. الكل يشارك برأيه فى مواضيع خرحتها الصور.

حلم والشباب تأججت وجوههم بالفرحة.. قالت ناردين بنبره تنضح بالفرح: أول معرض يتأثر به الطلاب إلى هذا الحد .

وعند كاركتير الفرعون الجالس على الكرسى والشعب وراءه يصفق على قراراته العبقرية قبل أن ينطق بها ..رأته ينظر للكاركتير ويبتسم

حدثت نفسها : ماذا أتى به الآن.. أخذت نفسا عميقا واقتربت منه بابتسامة : ما رأيك بالمعرض؟.

نظر خلفه وابتسم : جميل .. المواضيع مهمة اختزلت عيوبنا فى معرض صغير، تهلل وجهه أكثروتابع : سمعت من الشباب أنك صاحبة الفكرة .. لم أتوقع وأنت تحكين

لى بالأمس أنه سيلقى كل هذا التفاعل وأنك قادرة على فعل هذا بدون الشباب

ابتسمت بخجل : أقمته مع زميلاتى .. أنا صاحبة الفكرة فقط ولكنهم تشجعوا لها وبذلوا مجهودا من أجلها .. لم نخبر الشباب إلا اليوم لأنى تيقنت بعد تمزيق المعرض السابق أنهم لن يتحمسوا لشئ بعد ذلك.

إتسعت إبتسامته وقاله بصوت حنون يخالطه الاعجاب : قوية أنت ومثابرة.

إحمرت وجنتاها وخبأت خجلها بإبتسامة فلم تعتاد أن يثنى أحد على فعل لها وتابعت: ما رأيك نكمل باقى المعرض.

إستوقفه كاركاتير لرجل ملتحى يسمى نفسه بهتانا بالشيخ .. يكتنز المال ويضمه لصدره بعيدا عمن حوله وهو يردد والطعام يملأ فمه :: ماذا تقولون أيها الأوباش .. ألم تعلموا أن لحم العلماء مسموم:::

أعاد قول الجملة امامها وسألها : هل تعلمى ما أصل هذه المقولة.

ردت: سمعتها كثيرا فى القنوات الفضائية التى تحولت لساحة سياسية ولكن لا أعرف مصدرها.

تابع ليخبرها: هذه المقولة كتبها الحافظ بن عساكر وهو من علماء القرن السادس الهجرى فى كتابه :: تبيين كذب المفترى فيما نسب الى الإمام أبى حسن الأشعرى.

قالها للزود عن أمام الأشاعرة ضد منتقديه من أهل الحديث أو بلغتنا الأن ::السلفية:: ومنعهم من إنتقاده.

قاخعته : كنت أعتقد أنها قيلت للزود عن السلفيين وليس فئه أخرى غيرهم.

رامى: هذا لأن الجملة أشتهرت بهم .. فكلما حاولوا ردع أحد عن إنتقادهم رغم أنهم بشر يخطئوا ويصيبوا، استعانوا بهذه الجملة وأصبحت كأنها قرآن منزل والبعض إعتقد من ذياعها أنها منسوبة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام.

إبتسمت له وقالت : عليه الصلاة والسلام .. من الواضح أنك قارئ جيد .. فابتسم لها ولم يعقب.

إقتربت يسرا منهما ونادتها : حلم.

إلتفتا إليها ، فتراجع هو خطوتين وارتبكت هى واهتز صوتها وأشارت لمكان الشباب ورائها وقالت : علي وباقى الأعضاء يريدونك.

إبتسمت لها وقالت : سآتى معك .. سارت معها خطوتين ثم شعرت بالخجل لأنها تقدمت بدون أن تحدثه فرجعت إليه وقالت: أسفة.. ألن تأت معى؟ .فوجدت وجهه مصفرا ، رد بصوت متهدج : سأذهب .. تذكرت موعدا لى وتركها قبل ان يسمع تعليقها.

ظلت لحظات تتابعه بعد أن أعطاها ظهره واسرع من خطواته كانما يهرب من شئ تجهله.

نادتها يسرا : حلم.. ماذا بك ، ألن تأتى؟.

إلتف علي ونادين والباقيين حولها وقالت يسرا : المعرض حقق أكثر مما توقعت ، لم أعلم أنك مثابرة هكذا إلا بعدما رأيته من تفاعل الطلاب اليوم وتابع علي :بصراحة أول ما رأيتك قلت فى نفسى لن تستمر معنا أكثر من شهر وستخاف من عيون الأمن المسلطة علينا .

إبتسمت والتفتت ليسرا التى ضحكت من كلماته وعلقت :مش كل البنات سيس يا على .

متهكما :ومابهم السيس يا يسرا .. لا أقدر على التفوه بكلمة فى حقهم تعالت ضحكاتهم المزوجة بكثير من الأمل وانتهى اليوم.

أثناء رجوعها إلى البيت كانت تسترجع معرض اليوم بكل ما حدث به ..كانت تشعر وكأن أقدامها لا تلمس الأرض، جسدها خفيف كطائر محلق فى الهواء.

تبتسم تارة وتضحك أخرى .. تأخذ نفسا عميقا وتنظر نحو السماء التى لم تكن تعرف أكانت جميلة وصافية أكثر من أى يوم مضى أم كهذا خيل إليها .. عينها لا تقع إلا على ما هو جميل حتى إنها كانت ترى الجمال وهو متدثر بغطاء من القبح.. كانت تنظر لكل شئ وتبتسم .

وهى تعبث بحقيبة يدها تميلها يمينا ويسارا كما كانت تفعل وهى صغيرة ، لمحت خفلا جميلا ينظر من سيارة والده نحوها ويبتسم.. لوحت له بيدها فضحك هو وأخيه الجالس بجواره ولوح لها هو الأخر.

رجعت إلى البيت تدندن بكلمات اغنية لطالما أحبتها بصوت زهرة :: أنا مش صدى صوت ولا شئ مرفوض ::

قابلتها أمها تضحك وهى منهمكة تغنى وهى مغمضة العينين حتى دخلت فى نوبة ضحك وهى ترى إبنتها تمط فى حروف الكلمة :: مرفووووووووض:::.

فتحت عينها وهى ترى أمها تميل برأسها إلى الأمام وتضحك فسقطت على الأرض تضحك هى الأخرى.

قضت الليلة تشاكس أباها كعادتها وتمازح أمها ثم تناولت عشائها معهم وخلدت إلى النوم.

إستيقظت على صوت أمها .. قامت متململة تقول :ماذا حدث؟ لم أنم الا قليلا أمى .

::أريد بعض الأغراض للبيت .. إحضريها لى من البقال وأكملى نومك:::.

أمى .. أى أغراض الأن .. أجليها سوف أحضرها غدا.

ردت وهى تهزها :قومى نصف ساعة فقط ثم أكملى نومك.

قامت مضطرة أخذت منها قائمة الأغراض وغادرت البيت نصف نائمة، قطعت نصف الشارع حتى جذبها إليه بقوة.

صرخت صرخة مكتومة واتسعت عينها عندما رأته .. هدأ من روعها وقال لا تخافى هذا أنا.

أبعدت يده بقوة وقالت بصوت محتد : هل تحولت لبلطجى ترعب الفتيات فى الليل ، ابتعد عنى .

أمسك يدها .. فأبعدتها .. فأمسكها مرة أخرى وجذبها إليه .. قربها منه حتى لفحتها أنفاسه فأبعدته بكلتا يديها بقوة وقالت : أجننت أنت، ماذا تفعل ؟.. صدقا لم أكن أعرفك ، رمقته بنظرتها الحادة وابتعدت.

هرول وراءها .. جذبها .. احتضنها بقوة، حاولت الفكاك فلم تستطع .. أفزعتها ضلوعه اللاهثة .. ترجته أن يتركها فقال بصوت واهن انتظرى خمس دقائق فقط واذهبى .. حاولت التخلص من قبضة يديه عليها فلم تقوى فقال أرجوك.

تسيد الصمت لحظة توقف عقلها عن التفكير فاستكانت.. قال بوهن أكبر : لا تذهبى وأحاخها أكثر .

فقد عقلها وقاره وألقى جميع المواثيق الغليظة التى قطعها عليها جانبا .

أغمضت عينها وأحاختة بذراعيها.. تشبثت به أكثر لتتشرب خلاياها رائحته التى إشتاقت إليها أكثر من أى شئ أخر ولم تأبه إن أحدا رآها.

إستيقظت من نومها ودمعة يتيمة تسيل من عينها .. أخرجت زفيرا ساخنا وقالت : أستغفرك ربى وأتوب إليك .. حتى فى أحلامى.

:: أقبلت عليها أشتهى بعضا من أيامها فتمنعت.. أختبأت وراء أسوار حصونها .. التحفت الصمت وأصابها داء الرجال .. خالها شيئا منهم.. بعض من قسوتهم .. قسوة لا تليق بأنثى عاتبت عليها قسوتها فازدادت .. خالبتها بنظرة لحالى فطالبتنى أن أزهد .. صرخت : لست ناسكا لأزهد.. دعينى أختلس النظر ولو مرة لحلم لطالما آلمنى انتظاره.

أتلمس بعض ملامحه .. أنزع أمامه قناع قوة إصطنعتها لأحتمى من أيامك القاسية.

دعينى أراه يعانق أبراجك العاتية .. امتلأت به حتى فرغت منى الحياة.

ردت بعنقها الماجد : لست أهوى سوى الزاهدين.

فحملت حقيبتى وأعطيتها ظهرى فلن أزهد فيما يبقينى على قيد الحياة وسيعطينى إياه الله ::.

خطت هذه الكلمات بمفكرتها الصغيرة فى صباح اليوم التالى ، لتصبغه بشئ من الأمل لتقوى به على الأيام وعلى نسيان ما رأيته الليلة.

بابتسامة عريضة ناداها قبل أن تغادر بعد انتهاء درس اليوم.

-حلم.

التفتت إليه نصف التفاته بنظرة مستفهمة .

- عندى شئ لك.

بنفس النظرة إلتفتت إليه باهتمام وقالت متعجبة : شئ ! .

أخرجها من بين أوراقه بتمهل وتحفظ .. فضها من خيتها ووجهها نحوها ممسكا إياها بكلتا يديه : ها هى .

تجمدت ملامحها بلحظة وغمست بدهشة أمسكت لسانها من تلابيبه.. سكنت لتستوعب ما يحدث..كاد السكون أن يجر سكونا أعمق يغرقها به ويشل حركتها فانتزعت نفسها من دهشتها بسرعة وقالتها وكأنما استافقت من سبات عميق : أنا .

رد بابتسامة وقد إمتلأ بها عن أخره : أنت .

حاولت أن تبتسم لتخبئ ما يعتمل فى صدرها فلم تستطع :

- لم يرسم لى أحدا صورة وبهذا الجمال من قبل ، ولم أجدنى كما وجدتنى فى هذه اللوحة .. أقاتل من أجل حلمى وسلاحى كاميرتى التى غطتها الأتربة .قالت هذه الكلمات وعينها متسمرة على اللوحة ثم رفعتها إليه وشعرت أن وجهها قد إصطبغ بجميع الألوان.. نظرت نحوه ثم أبعدت عينها عنه بسرعة .

رامى :

- لن تجدى نفسك إلا بأوراقى كما لم أجدنى إلا عندما جئتى تسمرت بمكانها وابتلعت ريقها بصعوبة ، أخرستها كلماته فقد كذبت نفسها مرارا وها هو يعترف صراحة فكرت فى التراجع والهروب وقبل أن تنفذ ما انتوته أكمل .

:: قلت لك قبلا أن رأى أحدهم أبعدنى عن شغفى فلا تهتمى برأى

أحد فيما تفعلين .. قديما كان حلمى هو الرسم حياتى معلقة به ولكن ابتعدت عنه عندما غاب من سكن لوحاتى .. حلفت ألا أرجع إليه رغم روحى المعلقة بالريشة و الألوان ولم أفكر أن أعود إليهم إلا عندما جئتى فوجدت بطلة لوحاتى الغائبة.::

كسرت شفقتها عليه جانبا من إندهاشها فابتسمت له إبتسامة عابرة وخرجت مسرعة محاولة الإبتعاد هربا منه

تذكرت أنها لم تأخذ لوحته فرجعت دون أن تنطق بكلمة وأخذتها من بين كفيه ورحلت.

ظل واقفا كما هو عينه على الباب حيث خرجت للتو يديه مرفوعتان.. أصابعه على حالها كما كانت ممسكة باللوحة حتى بعد ان أخذتها ..

بعد أن صفعه شعورا بالرفض .. إنتشت روحه لرجوعها لتأخذ هديته الأولى لها فضحك ضحكة حزينة وقال هامسا :

:: لم تقاتليهم وحدهم بل قاتلتى وجعى وافترشته قدماك لتعبرى

منه إلي دون أن تشعرى .. فمتى يعترف هذا القلب العنيد أن ضلوعى موخنه..

أين أنت منى؟!.

على مهل خطوة خطوة قطعت الطريق كالآلة عندما تنتهى حركتها بعد انقطاع التيار عنها، تسترجع كلمة كلمة مما قال .. أفعاله التى لم تدل إلا على إنغماسه الشديد بها رغم تكذيبها .

لم تفكر يوما فى رجل غير هذا الرجل الذى رحل ولم يترك لها سوى خيبة اصطبغت بها حياتها .

تذكرت ما حلمت به ليلة الأمس وظنها بأن عمر سيرجع إلى حياتها كيف وأين ومتى؟ وبأى عذر تأتي كرامتها به لتقبله لا تعرف .. لا تعرف أى اجابة .

-:: هل يمكن أن أكون أحببته أم تعودت على وجوده ونظرته المختلفة التى استجديها من عيون من حولى :: ، سألت مريم.

مريم:

- عندما رأيته بالمعرض أيقنت أنه يحبك .. عينه رغم خجلها إلا أن إستراقها للنظر يفضحها .. والتصاقه بك رغم مظهره المكابر لا يدل

إلا على شئ واحد مهما أنكرتى وكذبتى الأمر.

حلم :

- ماذا أفعل؟.

مريم :

- اتركى نواحك على بقايا الفرص التى لم تنالى منها شيئا وتمسكى به

حتى لا تندمى على رفضه فلن تجدى كل يوم رجلا يحبك كما أنت ويتفهم

أحلامك مثله.

حلم :

- سأغلق الآن.

مريم :

- كفى عن الهروب .. فكرى ولا تضيعى الفرصة إن كان والدك لا يتفهم

أحلامك خوفا عليك .. ستجديه يحتويك ويتفهمك .. هكذا رجال تتضاعف

معهم الأحلام .

حلم :

- تصبحين على خير.

::حلم:: .. نادتها مريم بسرعة قبل أن تغلق :: هل تنتظرين عمر ؟ وقبل أن تدعها ترد أكملت : اصدقينى القول هل ما زلتى تحبينه .. أعرف أنه مر قرابة سنتين على فعلته ولكن أشك احيانا أنك ما زلتى تفكرى به وأعلم

أنه يريدك ويتمنى أن تسامحيه وبكلمة واحدة منك سيهرول نحو أبيك يطلبك منه.

خال الصمت بعد ان أنهت جملتها فنادتها : حلم .. صمتت مرة أخرى ثم تابعت : أسفه إن أزعجتك بكلامى.

فردت بوهن : لقد حلمت به اليوم يا مريم.

قبل إقترابها لحيها وجدته يقف فى جانب من الطريق يركل شيئا وهميا فى الهواء.. توقفت فنظر إليها وكأنه كان ينتظرها.

أكملت خريقها وتجاهلته كأن لم تره فاستوقفها وهى مارة به، لم ترد فناداها مرة أخرى.

توقفت لتضع حدا لهذا الأمر إستلت نفسا عميقا وباغتته : ألن تستح من ملاحقتك لى .. أصبحت أزمة حياتى أنك بنفس الحى ، ألا تستطيع أن تختفى حتى لا أراك .

بهدوء قال: لم تكلمينى يوما بهذه الحدة.

إكفهر وجهها : رجعنا للهراء مرة أخرى ، هل تعطل مركز الاحساس لديك؟.. ألم تعد تعى أفعالك، أخطأت بوقوفى معك.. ظننت أنى سأنهى الأمر وبقايا الرجولة لديك ستوقفك عما تفعله بى.

إحمر وجهه غضبا: أنا رجل يا حلم ، لم أكن كذلك عندما فعلت بك ما فعلت ولكنى حلفت أنى سأسترجعك لأنى تيقنت أن حياتى بدونك لا شئ.

كان يقول كلماته بسرعة جعلت فهمها صعبا عليها ولكنه تابع: إن كانت نيتى هى إزعاجك ليست الا ، لكنت أتيت مع أبى لزيارتكم كما تعودت قديما ولكنى لم آت رغم الحاح أبى وأبيك حتى لا أغضبك .

ردت بغضب : عمر .. ماذا تريد ؟ أنهى الأمر الآن .. أريد ألا أراك بعد اليوم.

حك جبينه بألم وصمت هينهة ثم قال : رأيتك عندما تحدثتى بعصبية مع الموظف يوم المعرض، فقاخعته : أتراقبنى؟.

ألن تفهمى أبدا، أخاف عليك، قالها بصوت عال وصمت لحظة واكمل بعد أن اخفضه وبحنان أبوى قال: وربى أخاف عليك ،لا أريد أن يؤذيك أحد.. إن وضعك الرجل فى حساباته فلن يفلتك.

فـردت بتحـدى : تخـاف علـي ؟! أنـت تخـاف أن يـؤذينى أحـد غـيرك فأنـت أدمنـت إيـذائى وتريـد أن تسـتأثر بهـذا الأمـر لـك وحدك.

أغمض عينه ووهن صوته أكثر : لهذه الدرجة !.

نظـرت إليـه بتحـد وقالتهـا ثـم رحلـت : الدرجـة التـى وصـلت إليها لن تتخيلها فلم أعد كما عرفتنى .

هاجمهـا الطـرق فكـاد يـودى بكـل خليـة مـن خلايـا رأسـها فـأوت إلى النوم قبل أن يمنعها الألم عنه.

تـذكرت اللوحـة قامـت تتأملـها ثـم علقتهـا علـى الحـائط بجوارها .

فتح الباب :

حلم أريد التحدث إليك قبل النوم.

إعتدلت فى جلستها :

- تفضل يا أبى .

جلس بجوارها :

- إقتربت الإمتحانات وأنا أثق بك دوما تجتازيها دون أن تدعينى أعانى.

إبتسمت :

- كبرت كثيرا على أن أتركك تعانى .

- لم أعان ولكنك دائما تأخذين قسطا من راحتى تنفقينها على

عنادك.

ردت مندهشة :

- عنادى !.

- أخبرنى أحدهم بما حدث بالمعرض .. لولا فضل الله لكنت قد حرمتى من الدراسة.

ارتفعت دقات قلبها وصمتت ليكمل .

- إترك التصوير .. ما أهمية هذه المعارض .. ماذا ستفعل فى المرة القادمة لو حولتى للتحقيق وحرمتى من الدراسة .

حلم :

- أتفهم خوفك يا أبى ولكن لست ألة لأنغمس بأحوالى وأغض الطرف عما يدور حولى .. مقتنعة بكل ما أفعل .. لا أستطيع أن أترك التصوير لأنه شغفى .. لا أجد نفسى إلا به.. بدونه أصبح لا شئ.. لأجلك أستمر فى الدراسة .. تعلم أنى لا أحب المجال أبدا فأرجوك اتركنى أفعل ما أحب.

وقد إحتد صوته :

- أود أن أقتنع .. ما أهمية هذا الهراء .. ما وجه الإستفادة من

صور لن تغير شيئا من الواقع .

أغمضت عينها بشدة لتقوى على الإستمرار وقالت :

- كل إنسان يستطيع تغيير الواقع لو أصر على ذلك .. ماذا سيحل بنا؟؟..

ماذا سيحل بنا لو استسلم كل منا؟ .. لا أريد أن أعيش حياتى وأنا

أكرهها مرغمة على العيش فقط لأرضى الأخرين.

أخـــر جملـــة ســـأقولها لـــك: اتركـــى التصـــوير وركـــزى فـــى مستقبلك.

خـرج غاضـبا وصـفق البـاب بقـوة فارتعشـت أوصـالها لا مـن قـوة الصوت ولكن من إصراره على ما قال.

دخلـت فـى نوبـه بكـاء بعـد رحيلـه.. بكـت نفسـها الضـعيفة التـى لا تقـوى علـى الحيـاة كمـا تريـد .. الحيـاة التـى ظنـت أنهـا نظـرت إليها أخيرا بعين الرضا .

نامـت متكومـه علـى نفسـها كـالجنين وغرقـت فـى دوامـة مـن الأفكـار المتصـارعة برأسـها.. تصـورت حياتهـا بعـد أن يـوأد حلمها قبل أن يأخذ فرصته للحياة.

إنتهـى بهـا المطـاف إلى الـتفكير جـديا فـى تـرك الدراسـة .. إسـتبد بهـا الخـوف والقلـق فقـررت وهـى فـى أشـد لحظـات ضـعفها أن تـترك كـل شـئ.. لـن تفعـل مـا يريـده غيرهـا مادامـت لم تـترك لفعل ما تريد.

ظلت تفكر حتى لجأت للنوم هروبا من التفكير.

ارتفـع صـوت الهـاتف معلنـا عـن موعـد ذهابهـا للجامعـة.. أغلقته ووضعت الغطاء على رأسها واستغرقت فى النوم .

تكومت على نفسها ورفضت الإستيقاظ رغم محاولات أمها المستمرة لتوقظها ..حتى لا تترك مجالا للتفكير بأى شئ.

علا رنين الهاتف .. تلقته بكسل فوجدتها مريم .. غيرت ضبط الهاتف على وضع الصامت وتركته وعادت لنومها .

دقائق وأزعجها إهتزازه فالتقطته وأجابت .

لم تمهلها مريم فى الرد :

أجيبى سريعا وبدون مراوغة .. ماذا قررتى ؟.

حلم :

- بشأن؟.

بنبرة ساخرة :

- بأى شأن ؟!. رامى خبعا.

بنبرة مخنوقة :

- مريم أحتاجك

بحذر يشوبه القلق: ماذا حدث؟.

لم تتحمل .. بكت وألقت إليها بعض الكلمات المتقطعة :

::منعنى أبى من التصوير فى المعارض .. لم أعد أريد إكمال الدراسة بعد الأن::.

مريم :

- ماذا تقولين؟ انتظرينى .. سآت إليك.

فى أقل من ساعة وصلت مريم إليها .. وجدتها نائمة .. أيقظتها .. إبتسمت لها واحتضنتها.

بعين حزينة :

-لم تكتمل فرحتى حتى أحرم منها يا مريم.

خبطبت على ظهرها بحنان وقالت بصوت هادئ:

- كنت أعرف أن هذا ما سيحدث منذ قررتى الإستمرار فى التصوير .. لكن ما أدى بالأمر إلى هذه النقطة.

حلم :

- أبى خائف أن أحرم من فرصتى فى إكمال الدراسة ولن أكمل فيها ما دمت لا أستطيع فعل ما أريد.

مريم :

- العناد سيزيد الأمر سوءا .. لو لم تكملى الدراسة .. ماذا ستفعلين؟، سيتحول المنزل إلى سجن صغير .. الكلية أعطتك فرصة لم تحلمى بها وقبلها كنت قد إستسلمت بالفعل لترك التصوير.

حلم :

- أين الفرصة وقد ضاعت .

مريم :

- يجب أن تستوعبى قلق والدك على مستقبلك أنت وحيدته .. نفذى ما

ما يريده ولكن اخرجى من إخار المعارض وابحثى عن مجلة أو مدونة

وانشرى بها .

بالنهاية المعارض لم تكن إلا بداية وعليك الإنتقال منها إلى خطوة أكبر.

- مجلة! فكرت بها قبل أن أقرر إكمال دراستى ولكن الأمر ليس سهلا.

مريم :

- لا يوجد فى هذا الكون أمر هين سهل المنال .. مادمت مصممة على

أمر فلابد أن تجتهدى لتحقيقه.

إبتسمت حلم وقامت لاحتضانها وقالت : سأفعل

مريم وقد تخلت عن جديتها :

- أفكارى .. دائما عبقرية .

نظرت إليها حلم بخبث وهمت بالاقتراب منها فتراجعت مريم وهى تضحك:

- أرتعب منك عندما تبتسمين هذه الإبتسامة .

حلم :

- حقا .. وانقضت عليها لتقبلها وهى تضحك .

نادتها أمها لتناول العشاء .. جلست بجوارها تنظر لأبيها خلسة بين الفينة والأخرى .

بصوت هادئ سألها : لماذا لم تذهبى اليوم للجامعة؟.

نظرت لأمها نظرة عتاب رغم معرفتها أنها لم تقصد ما سببته.

وهو يغادر الغرفة :

- لا تذهبى لدرس الكمان بعد الآن.

إتسعت عيناها من ردة الفعل غير المتوقعة وغادرت الطاولة

دخلت المحاضرة متأخرة قليلا .. جلست بجوار يسرا، لم تنتبه لكلمة واحدة ..غرقت فى اللاشئ .

لاحظت يسرا إنشغالها عن المحاضر وهى تشاهدها تعبث بقلمها وترسم على ورقة خطوط متشابكة لا معنى لها.

بعد ساعتين جمع المحاضر أوراقه وغادر

سألتها يسرا :

- لم تنتبهى لحظة واحدة ..هل أنت بخير؟.

سقطت دموعها بعد أن تمكن الضعف منها .. حجبت وجهها بكفيها فلم تكن ممن يستسلمون للبكاء أمام أحد.. كان دمعها مكابرا دائما.

فزعت يسرا واحتضنتها وأخذت تربت على كتفها لتهدأ :

- ماذا بك ..احك لى .. ومهما كان الأمر من المؤكد سنتوصل لحل، ألا تؤمنى بالله وتعلمى أن كل شئ بيده.

ظلت بجانبها حتى هدأت وقصت عليها ما حدث فأمنت يسرا على رأى مريم الخاص بالبحث عن مجلة تنشر للمبتدئين وخمئنتها :

- لا تخافى كل أب يقلق على مستقبل أولاده ويتعامل معهم من وجهة نظره.. ولكن عندما يراك تتقدمين ويشهد إلتزامك وإصرارك على ما تريدين .. سيقل توجسه وسيؤمن بك .. يريد أن يتأكد أنك لم تعودى خفلة صغيرة تفرح بدمية ثم تلقى بها بعيدا بعد أن تزهدها.

خمأنها حديث يسرا بعد أن وعدتها بأنها سوف تسأل لها بعض أصدقائها عن مجلة مهتمة بالتصوير.

عادت إلى المنزل هاتفت رفيقة لها بصف الكمان .. أخبرتها أنها لن تحضر بعد اليوم.

لم تعرف هل تحدثت معها لتخبرها أم لتخبره ؟ .

أغلقت الهاتف وهربت من التفكير بالنوم.

بعد ساعات لم تكن تعلمها .. جاءت أمها لتوقظها فرفضت متعللة أنها تريد إكمال نومها .

::أبوك يريدك .. انهضى هناك من ينتظرك:: ، قالتها وهى

تهز كتفها.

حلم :

- مريم ؟.

-:: انهضى وسترين:: ، تركتها وقبل أن تغلق الباب قالت فى غرفة الجلوس.

نهضت مجبرة وقد بلغ منها التوتر مبلغه وحدثت نفسها قلقة : يا الله ماذا سيحدث أكثر مما حدث ، لم أعد أحتمل.

دخلت الغرفة وعينها مسلطة على أرضها وما إن رفعت رأسها حتى تسمرت مكانها .. اهتزت الأرض من تحتها وتسارعت أنفاسها كل هذا وعينها عليه لم تتحول عنه .. حاولت الرجوع فتذكرت أبيها الجالس أمامه ينظر إليها يتأملها ، نظرته تخترقها لتتبين حالتها .. تقدمت وهى تناجى ربها أن يقف بجوارها وجلست بجوار أبيها.

وقبل أن يتحدث إليها والدها بالأمر .

توجه إليه مكملا حديثه معه :

- لم أقصد أن صفوفى لتدريب الكمان هى عملى الأساسى ..

تخرجت من كلية الهندسة وأعمل فى شركة هندسة معمارية فى الصباح أما تدريب الكمان هواية يومين فقط فى الإسبوع إلى جانب العمل.

وهى تستمع إلى حديثه .. عرفت أنه ما تحدث إلا ليحول إنتباه أبيها عنها .

كان والدها يستمع إلى حديثه هادئا .. يسأله ليستفسر أكثر عما يريد معرفته ..

يتوغل ليتعرف على شخصيته أكثر.. حدثه عن إكمالها للدراسة خعما ليعرف أكثر رأيه فى الأمر ، عن عائلته وعن كل ما يشغله .

وهى جالسة تفرك يدها ، يأكل قلبها القلق .. غارقه فى اللاشئ .. كان يتفقد حالها بسرعة بين الفينة والأخرى ، يلجم إبتسامة تكاد تفضح ما يخبأه.

كلما لمحها تعتدل فى جلستها والتوتر يكاد يفقدها الوعى ضحك قلبه، ها هى أمامه فى بيتها مع أبيها .. يطلبها ويمنى النفس أن يحظى بها .

ختم كلامه مع والدها بكلمات مقتضبة ولكنه ما قالها إلا

ليطمئنها :

أتمنى موافقة حضرتك وإن شاء الله سأشجعها على إكمال الدراسة وسأقف بجوارها حتى تصل إلى ما تريد.

هربت منها الكلمات .. إنهزمت أمام توترها فلم تقوى على الصمود .. فرغ عقلها من أى كلمة لتبرير ما حدث .

غادر رامى وجلس والدها يسألها بهدوء يشبه هدوء ما قبل العاصفة.. متلعثمه فى الإجابة فلم يسعفها عقلها بغير كلمات مبعثرة ، غير مترابطة .

- ما رأيك فى خلبه ؟.

:: سأفكر ثم أصلى صلاة إستخارة ::.

- تفكرى ! هو المدرب الذى يعلمك منذ مدة ومن الواضح أنه متمسك بك ولست مجرد فتاه معجب بها ومن الواضح أيضا أنك تعلمين بهذا .

ردت بسرعة كمن يبعد عن نفسه تهمة ستلتصق به : لا أحبه وعلاقتى به لا يشوبها شئ من الخطأ .. هو إنسان محترم وأنا لا أسمح لأحد بتعدى حدوده.

- واثق من هذا .. أنا ربيتك وسؤالى لا يعنى أنى لا أثق بك

ولكن بماذا أرد عليه.

::سأفكر بالأمر :: ، قالتها وهى تتمنى أن تكون أخر ما تقوله.

- فكرى ولكن كما قلت لك لا تذهبى للدرس قبل أن نبلغه بردك .

ما إن أنهى والدها حديثه حتى أسرعت للغرفة لتلتقط أنفاسها اللاهثة وقبل أن تمد يدها لتفتح الباب إستوقفها : حلم

- نعم يا أبى .

لا تخفضى رأسك عندما تحدثينى مادمت لم تفعلى شيئا خاطئا.

توقفت قليلا ثم إبتسمت إليه ودخلت غرفتها .

هبط الدرج بعد أن رافقه والدها إلى باب البيت وصافحه ورحل ، توقف أمام البناية لحظة ثم تابع السير إلى البيت .

فى الطريق كان يسترجع صورتها وهى جالسة أمامه .. تذكر نظرتها إليه عندما صدمت بوجوده .. قدمها التى رجعت خطوة للوراء ثم توقفت أمام عين أبيها التى تتابعها .. خطواتها الثقيلة لتجاور أبيها على الأريكة ، عينها التى تأملته ثم اتجهت نحو والدها تتأمله لتتأكد أن ما يحدث

ليس حلم .

ضحك حتى علا صوته فلمح رجلا مارا به ينظر نحوه بدهشة فغرق بنوبة ضحك وهو يميل جسده للأمام حتى إبتعد الرجل مسرعا.

كانت وحدها فى الغرفة .. أخذت نفسا عميقا .. شعرت بقدمها ثقيلة كما لو أنها تحمل أخنانا من الحديد .. أغلقت الباب وافترشت الأرض.. لم تفكر فى شئ سوى مريم .. قامت متثاقلة .. هاتفتها وما إن سمعت صوتها على الجانب الأخر حتى باغتتها

- رامى تقدم إلي وخلبنى من أبى .

صمتت ثوانى لتستوعب الجملة التى ألقتها إليها : حدثك على الهاتف ؟ .

- هل هذا موضوع يقال على الهاتف .. فوجئت به فى غرفة الضيوف يجلس مع أبى .. لم يتوجه نحوى بكلمة واحدة ولكن حديثه لم يكن إلا ليطمئن قلبى إليه .

تجبرنى كل مواقفه على إحترامه ..أحبك ولم يرواغ ..

إعترف بحبه وتقدم لأبيك حتى لا يفعل شيئا من وراء ظهره ، أراد أن تكونا معا بموافقة الجميع .. كل هذا يدل على احترامه لذاته ولك .

- عقلى يكاد ينفجر .. منذ رأيته وأنا لا أقوى على الوقوف على قدمى أو التفكير ، لم ألتقط من كلامه إلا القليل تحت وخأة توترى.. أشعر أنى بمصيدة.

::مصيدة ؟ ::

- أبى يشعر أنى كنت أعرف بشأن حبه لى .

::ولكنه تقدم ولم يفعل شيئا من وراءه :::.

- لا أعرف .. أنا لم أفعل شيئا خاخئا.. سأرفض .

ماذا تقولين .. ترفضى وتخسرى إنسان يحبك ويتقبل خموحك.. من الصعب أن تجدى شخصا كهذا .. لا تكونى غبية .

- أريد رجلا أحبه لا ليكون فرصتى للنجاح .

بعد كل ما فعله ولم تشعرى بشئ تجاهه.

بعد صمت : لا أعرف .. صمتت مرة أخرى ثم تابعت : لا أعرف الفرق بين ما أشعر به والحب .. بت أدمن إهتمامه بى دون أن أخلب ، اعترافه بحلمى وتشجيعه المتكرر لى ..

أصبحت أشتهى مشاركته بكل لحظة ألتقط بها صورة جديدة لأرى فرحتى بعينيه .

::كل هذا ولا تعرفى إن كنت تحبينه أم لا .. مجرد تعودك على وقوفه بجانبك وسعادتك التى بدأت ترتبط بوجوده كل هذا لا يدل إلا على شئ واحد ولكن تنكرينه وإنكارك هذا لا ينفى وجوده::.

- سأفكر.

:: حلم، لابد أن تأخذى فى إعتبارك أنك بأضعف مواقفك .. والدك منعك من التصوير وفرصة رجوعك لصف الكمان بعد الآن معدومة، هو فرصتك لإستعادة كل ما فقدته.

أخرجت زفيرا محملا بما يحمله قلبها وأنهت المكالمة .

أخفأت المصباح لئلا تأتيها أمها ، هروبا من أسئلتها .

بمجرد أن أظلمت الغرفة ، سمعت خرقا على الباب فعلمت الطارق.

دخلت .. أنارت المصباح وأغلقت الباب خلفها .. إقتربت وهى تبتسم .. إقتربت أكثر.. احتضنتها وأخذت تمسح على ظهرها كالأخفال.

تكومت ابنتها فى حضنها تستمد منه الدعم .

- لم آت مباشرة بعد ذهابه لعلمى أنك ستهرولين لتتحدثى مع مريم .

شبكت يدها بيد أمها ولم تتكلم .

فتابعت أمها : هل تحبينه ؟ . حدثنى أبوك عما قاله .. رغم أن أباك لا

يظهر ذلك إلا أنى موقنة أنه أعجبه

بصوت منخفض علقت : لا أعرف ولكنه أنبل من قابلت .

فكرى بعقلك جيدا ، ما تكشف لى من حديث أبيك أنه يتفهم أحلامك وسيساعدك على أن تكملى دراستك.. كما أنه ترك خابعا جيدا لدى والدك عندما حدثه عن ذلك.. ألم تحدثينى مرارا بأنك لن توافقى إلا بمن يتفهم أحلامك .

تعلقت وإنغمست بها أكثر : أمى أنا بأضعف حالاتى .. لا أستطيع إتخاذ قرار الآن.

- لماذا تتخذيه وحدك لا أقول لك خذى برأيى أو برأى أحد آخر .. استخيرى الله فيه وحده سبحانه من يعرف الخير وسيدلك عليه.

أحبك أمى:::.::

فوجئت بهما تجلسان معا منهمكتان فى الحديث .. إنضمت إليهم ..

قابلتها مريم بإبتسامة عريضة وعناق خويل .. إبتسمت وسلمت على يسرا فاعتذرت منهما وإنصرفت.

ماذا قررتى ؟. قالتها مريم بتوجس .

بملامح منقبضة وصوت سكنه الضعف: سأرفض.

ردت بغضب : لا أفهمك أبدا وهل لا تحبينه لترفضى ؟.

لا أريده أن يكون فرصتى .. أدرك جيدا أنى بأضعف حالاتى ولكن لا أريد أن أعتمد عليه ولا على أى أحد لأحقق ما أريد .. أتمنى أن أكون بجانبه وأنا قوية ..أحتاج قلبه لا لأستغل وقوفه بجانبى .

- منطق غريب سوف أجن .. أفيقى يا حلم .. وقوفه بجانبك سيقوى موقفك ويدفعك للأمام .

إذا صدقت مشاعره سيتقبل وسيأتى مرة أخرى .. أنا أعرف:::

ردت بغضب : وهل تحسبينه بلا كرامة .. أعطى لنفسك فرصة للتفكير ..أنتى متخبطة الآن، لا تفكرى بشكل صحيح أخاف عليك من الندم.

ضغطت على جبينها بشدة لتتحمل الطرق المنتشر برأسها : ماذا أفعل؟ .. كفى عن الضغط علي كفانى ضغطا من كل الجهات .

.

::حلم لأخر مرة سأسألك هذا السؤال : هل ما زلتى تحبى عمر؟.

أدارت وجهها بعيدا عنها وحبست دمعة كادت أن تخنقها .

تابعت الأخرى بغضب : لم أعد أفهم شيئا ، أجبينى .

بعد صمت خويل قالت : رأيته يوم أعترف رامى بحبه لى .

غادرت مريم بعد عودة يسرا وقالت لها : لا تجلسى معها كثيرا ستفسد عقلك بأفكارها العجيبة عن أخره .

ضحكت يسرا وابتسمت حلم وهى تفرك جبينها.

جلست بجوارها تتابع مريم وهى راحلة ثم داعبتها : ماذا فعلتى بها لتغضب؟.. كنت معها قبل مجيئك وكانت تضحك وتشاغبنى كعادتها.

إبتسمت: ستصبح بخير إنها مريم لا يليق بها الغضب .

يسرا : نسيت .. أحضرت إسم المجلة.

إنتبهت إليها وسألتها: وهل تنشر للمبتدئين .

- نعم .. هذه الورقة بها البريد الإلكتروني لهم .. راسيلهم واستفهمى أكثر ولكن هذا الموضوع يحتاج صبر ومثابرة، من الممكن أن

يتجاهلوا أول رساله .. إنتظرى ردهم وإن تأخر الرد إبعثى إليهم مرة أخرى.

تناولت الورقة من يدها وقالتها بود وهى تنظر لها بامتنان : شكرا يسرا على إهتمامك.. إبتسمت لها الأخرى وأومأت بعينها نحو الورقة ففضتها وقرأت الإيميل وحفظته .

توجهت بعينها للسماء تحمد الله : لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، دائما تعطينى أمل جديد .

حلم:: ، قيلت بحدة فالتفتت فوجدته أمامها الوهن مرتسم على ملامحه ، عينه يملأها لون الغضب فوقفت لتفهم ما به ، فداهمها لماذا تقدم إليك هذا الوغد ؟ .

شعرت يسرا بالإحراج واستأذنت للرحيل.

ردت عليه عندما رحلت : وهل من المفترض أن أجرى لأخذ إذن منك عندما يتقدم لى أحد.

فوهن أكثر وقال :ماذا تفعلى بى ؟ ، إزداد صوته إختناقا : إفعلى بى ما تريدى ولكن لا تتركينى ، نظر فى عينها مباشرة وعينه خنقتها أدمع سجينة : أنا بدونك ولا شئ والله العظيم ولا شئ.. أحبك.

بهتت لضعفه ، أخذت ترتجف ولم تمنع دمعها من السقوط وهى تنظر إليه :لم تترك لى سببا لأسامحك ، غدرت بى وأنا لا أملك سوى كرامتى .

فركع أمامها باكيا فارتجفت أكثر وقالت بوهن لم تعهده من قبل : عمر، ماذا تفعل؟ نحن فى الجامعة ودارت عينها بالمكان فوجدته شبه خالى لأن الجميع رحل منذ ساعة، مدت يدها لترفعه فتخطى كلماتها وقال : إعتقدت وهى تقترب منى أنى لم أعد أحبك ، تعودى على وجودك خدعنى.. شعرت أنى أستطيع الإبتعاد وقربها منى زاد ضلالى ولكن بعدما ألقيت بى بعيدا عنك عرفت أن ما بيننا ليس تعود انه إدمان ، أدمنت وجودك . عندما أدركت أن حياتى متشبعة بك، تركتها ..لم أبقى معها سوى شهور فلا

تلقى بسنواتنا الطوال معا من أجل خطأ أشهر، لا تتركينى ، إفعلى بى ما يحلو لك ولكن إغفرى لى . فرصة أخيرة ،أخيرة يا حلمى.

قالتها بسخرية بعد أن إستبد بها الضعف: حلمى.

فنظر لها بعين مشتاقة وصادقة : من أول ما عرفتك وأنت حلمى ، حلمت بزفافنا وأنت ابنة السادسة ، لم يرق لى حلما كما راق لى أن أشيب وأنا معك ولم أتخيل أن أستيقظ يوما وأفاجأ بأخرى نائمة بجوارى.. لم أتخيل وأنا فى الحادية عشر من عمرى أن يجلب لك أحدا غيرى الشوكلاته التى تحبينها أو أن تركبى الدراجة وراء أحد غيرى.

لم أفكر وأنا أدافع عنك أمام أبيكى وأتحمل أخطائك حتى احميكى من العقاب أنى سأركع يوما للصفح عنى ولا تصفحى .

أمسك بيدها لأول مرة منذ أن كبرا وعرفا الحلال والحرام، فأبعدتها برفق: والله لم أحلم سوى بك فترفقى بى ، إغفرى لى كما تغفر الأم لإبن رحمها.

خانتها قدماها وسقطتت أمامه ولم تعبأ بمن يمر ويرى ما يحدث وقالت : ماذا فعلت بنا ؟!.

كل خطأ وله توبة .. صدقيني لم أحب غيرك .. تعلمت الدرس كما يجب .. إن أنساك غضبك سنواتنا الأخيرة فلا تنس خفولتنا ونشأتنا معا .. لا تنس الأحلام التى نسجناها ولم يفت الأوان لنحققها .

عندما وجدها غارقة فى دموعها تنتفض أمامه .. أحترق قلبه لأنه السبب فأمسك بها وأجلسها ورفع وجهها من بين كفيها حتى تلاقت أعينهم وقال : : لن أغفر لنفسى حتى تغفرى لى .. أعطينى فرصة لأصلح ما فعلته وتذكرى أنك أبنتى التى ربيتها .. دموعك تحرق قلبى فكيف وأنا السبب.

ولما هدأت وابتعدت قليلا ولم تزد على كلامه حرفا واحدا فسألها :حلم.. ولما نظرت إليه واهنة تابع: ماذا سترد عليه ؟.

...

تنفست نفسا عميقا وقالت : سأرفض.

خرقت باب الغرفة فأذن لها بالدخول، وجدته يقرأ كتاب فى السيرة أغلقه : إقتربى يا حلم هل تريدى شيئا؟ .

هربت من عينيه وقالت : أبلغه بالرفض يا أبى .

صمت قليلا يتفحصها ثم قال : غريب إعتقدت أنك ستوافقين .

- لم أرتح فقط .. من فضلك يا أبى أبلغه.

وهو يتأمل ملامحها عله يفهم : سأبلغه.

بعدما ابتعدت قليلا ناداها : حلم.

التفتت اليه فقال اليوم أتصل عمر بعدما أرسلت له عتابا مع أبيه ، ألم يحدثك هذا الولد ، لم يعد يسأل عنى بعدما دخل السنه الخامسة ثم ابتسم وتابع :ولكنى أعذره الكلية صعبة .

إبتسمت بحزن : نعم الكلية أخذته من الجميع.

:: أريد رجلا أحبه لا لأستغل حبه لأحقق ما أريد:: .. بضع كلمات كتبتها فى رسالة على الهاتف .. كتبت رقم مريم فى قائمة المرسل إليه ثم بعثتها إليها .

أغلقت الهاتف وجلست فى جانب من جوانب الغرفة تستند على الحائط .. تفكر فى ردة فعله عندما يبلغه والدها : ماذا سيظن بى ؟.. سيقتله شعوره بالرفض.. هو لا يستحق رفض أى فتاة.

شرعت تبرر لنفسها ما فعلت : لم أفعل شيئا واحدا يدل على أنى أهتم به ..

لم أعرض عليه المجئ إلى المعارض .. فعل كل شئ بلا رغبة منى ..

لكنه لا يستحق الرفض .. ماذا أفعل يا ربى ؟.

يا لسخرية ما أنا به .. من أحببته خدعنى وعندما جاء من يحبنى حقا ويدعم حلمى، يعود عمر ، لا أريد أن أصدقه ولكن قلبى يوقن صدقه هذه المرة .. كرامتى لن تمكنى أن أسامحه، تنفست ونظرت إلى السماء وهمست:أشعر أنى بكابوس، لو كان كابوسا لكنت فرحت فمهما خال سأستيقظ وأجد عمر بجانبى كما كنا وكما أريد.

ابتسمت بسخرية :يااااااه لو علمت كم أتمنى أن أقضى عمرى كله معك .. لو علمت أنك لو حلفتنى لأعترف بما فى قلبي لأعترفت بعشقى لك أو كما تسميه كرامتى خطيئتى .. سحقا لك و لكرامتى أيها الوغد.

صراع بداخلها إشتعل ، جانب منها حائر يريده بشده وجانب آخر يفكر فى الرجل الذى سيتلقى رفضها.

إنتزعت نفسها من هذا الصراع وإنشغلت بالتفكير فيما ستفعله بخصوص المجلة ، إلتقطت الورقة من شنطة يدها وعلقتها على الحائط .

قامت لتجمع أجمل ما إلتقطت من صور ولكن صورته وهو يستقبل رفضها معلقة بعقلها تحاول خردها بإنهماكها فيما تعمل فلم تستطع .. إنتهت من تجميع الصور ، وضعتهم فى ملف وأرسلتها على البريد الإلكترونى للمجلة.

لاحظت تأخر الوقت .. قامت تصلى ركعتين تذهبان عنها بعض ما بها .. دعت الله أن يوفقها ويكرمها برؤية أحلامها واقعا تشاهده أمام عينها وأختصته بدعوة وتمنت من الله أن يرشدها الصواب ثم غطت فى النوم على سجادة الصلاة من شدة التعب.

قامت فى الصباح تحمل حماسا مشوبا ببعض القلق .. تفقدت

بريدها الإلكترونى رغم أنها توقن أن أحدا لم يرى الرسالة بعد

ولكنها شعرت بالفرح وهى ترى الملف المرسل .

يسرا : حلم مابك ألاحظ صمتك وشرودك كثيرا منذ فترة هل هناك ما يقلقك؟.

- مرت ثلاثة أشهر منذ إرسالى الصورة للمجلة .. أرسلت أكثر من عشرة رسائل ولم أحظى برد ولم مرة واحدة .. حتى أنى أرسلت لهم بعض الصور فى ظرف على البريد العادى ولا حياة لمن تنادى .

لا تتوقفى عند خطوة واحدة .. ابحثى عن مجلات أخرى::

::.

- أرسلت لمجلات غيرها ونفس الرد .. مريم حدثتنى أن أبحث عن أحد له خبرة بالمدونات الإلكترونية ينشئ لى واحدة ويساعدنى على إنتشارها ولكنى لا أرجح الفكرة كثيرا ، لا أفهم شيئا عن المدونات .

فكرة رائعة .. المدونات لها إنتشار واسع بين الشباب .. قدمت الفرصة لأناس كثر بإظهار مواهبهم وخلق جمهور يتابعهم وينتظر أعمالهم .. تحمست للفكرة جدا وبخصوص عدم معرفتك عن كيفية التعامل معها سهلة ستتعلمى بالتدريج .

ساد الصمت عندما نفد الكلام ثم قالت يسرا فجأة وهى متحمسة: انتظرينى دقائق.

وقفت حلم تتابعها لترى ما ستفعله .

فتحت حقيبتها بحثت عنه .. التقطته .. خلبت رقما ووضعته على أذنها تنتظر الرد : علي تساعد حلم فى إنشاء

مدونة ؟ .

انتبهت حلم، تنتظر الرد .. إبتسمت يسرا وربتت على كتفها بحماس وقالت : إعتبرى المدونة قد أنشأت .

احتضنتها وهى تضحك : ماذا كنت سأفعل بدونكم .. من لحظتى الأولى معك وأنت تجلبى لى السعادة .

احتضنتها مرة أخرى وقالت أنت كالبساط السحرى تأخذينى إلى حيث ما أريد.
مدت يدها إليها وقالت : إيدك على عشرين جنيه .
عشرين جنية، قالتها مندهشة فضحكت يسرا فالتقطتها وضحكت هى الأخرى. .

بعد عدة أيام أنشأ علي لها المدونة وعلمها كيف ترفع عليها الصور.. إشترك لها بعدة صفحات وعلمها كيف تنشر صورها بها .

خلبت من يسرا أن تصاحبها إلى المنزل لتكن بجانبها وتساعدها إن وقف أمامها شئ.

إتصلت يسرا بأمها تستأذنها وتهلل وجهها عندما وافقت .

وصلت إلى البيت معها تضحكان ، تناهى الصوت إلى أمها وهى تقف فى المطبخ فخرجت ترحب بهما بعد أن رأت يسرا .. لطالما أرادت أن تراها من كثرة ما حدثتها إبنتها عنها .. أرادت أن ترى من قاسمت مريم قلب حلم.

إحتضنتها وتركت حلم تصطحبها إلى غرفتها حتى تحضر لها شيئا للضيافة.

دخلت يسرا الغرفة ، إبتسمت وأبدت رأيها فى جمال غرفتها ، وهى تجلس على كرسي بجانب المكتب قالت : أغرمت بلون الغرفة.. كثيرا ما تمنيت أن أخلى حائط غرفتى باللون الأخضر الفاتح ، ضحكت حلم وقالت : إذن إحزمى أغراضك وتعالى لتشاركينى إياها.

همت يسرا بإدخال الإيميل والكود لفتح المدونة وتركتها حلم لتحضر أجمل صور قامت بإلتقاخها من خزانة صغيرة بجانب السرير .

إبتسمت من تعليق يسرا على لون الغرفة ، تذكرت يوم بكت

لأبيها لرفضه هذا اللون منذ عشر سنوات.

كان يجدد الشقة بمساعدة والد عمر .. قضت هذه الأيام بأكملها معه يراقبان العمال وهم يعملون بالشقة.

إختار والدها الألوان وكان اللون الأبيض من نصيب غرفتها فاعترضت لأنها تحب اللون الأخضر فلم يأخذ أباها الإعتراض على محمل الجد وخلب من العمال البدء بالطلاء فضحك عمر لأن أباها لم يعرها إنتباهه فبكت ولما رآها تبكى توسل لأبيها حتى يفعل ما أرادت.

ضحكت فانتبهت يسرا إليها وقالت وهى تبتسم: لماذا تضحكين فتجاهلت السؤال وقالت :يسرا .. هل أحببت من بعد يومين من إنشائها المدونة فتحتها رغم يقينها أن أحدا لم يعلق لأنها بأيامها الاولى ولكنها وجدت تعليق من أحدهم :: عرفت الهوى مذ عرفت هواك :: قرأت الجملة متعجبة ما هذا ، قرأت إسم المدون ، اسم مجازى لا يفصح عن حقيقة صاحبه فضغطت على الحساب ولكنها لم تجد حرفا واحدا فى مدونته.

فتحت مؤشر البحث وكتبت الجملة فوجدتها سطرا من شعر صوفى لإبن عربى وهو صوفى توفى منذ زمن ، إندهشت أكثر: ما علاقتى بشعر يقال حبا فى الله وكيف يبعث هذا المعتوه كلاما كهذا لبشر ، ينقصنى هؤلاء أيضا.

قضت الأيام اللاحقة بين دفاترها وبين الأوقات التى خصصتها للتصوير..

كانت تكتب فى دفترها أسماء الأماكن التى تستطيع تصوير أشياء تجذب انتباه الناس لها .

خافت بالكاميرا بين عدة أماكن بالقاهرة .. كورنيش النيل وقت الغروب ،

حديقة الأزهر فى الصباح ، الحوارى والأزقة ، الكنائس والجوامع لم تترك

شيئا قابلا للتصوير إلا وإلتقطتت له صورة .

وفى حلقة ذكر خاصة بالطريقة المولوية .. التقطتت صورا أخرى لعالم كانت تجهله .. لم تفكر فى وجوده من قبل .. فى بداية الأمر لم يكن يشغلها سوى التصوير .. مع مرور الوقت نحت الكاميرا جانبا لتترك شعورا بالسلام والطمأنينة يسلك خريقه إليها .

رقت روحها وهى تتابعهم .. أسرها كل شئ حتى دلالة كل ما يرتدونه.. قبعتهم الطويلة ..لباسهم الأبيض الذى يرمز للكفن ..الحزام الملتف حول الخصر ، دلالة على الصبر والجوع والزهد بالدنيا .

كانت تدور بخيالها معهم إلى اليسار بإتجاه القلب تقليدا لحركة الدوران

حول الكعبة ودوران الأرض حول نفسها ودوران الملائكة حول العرش .

لم تكن أذنها وحدها تستمتع بأشعارهم بل خشع جسدها بأكمله.. أغمضت عينها وظلت تردد معهم .

:: زدنى بفرط الحب فيك تحيرا وارحم حشا بلظى هواك تسعرا.

واذا سألتك أن أراك حقيقة فاسمح، ولا تجعل جوابى :لن ترى

يا قلب! أنت وعدتنى فى حبهم صبرا فحاذر أن تضيق وتضجرا ان الغرام هو الحياة، فمت به صبا، فحقك أن تموت، وتعذرا قل للذين تقدموا قبلى، ومن بعدى، ومن أضحى

لأشجانى يرى عنى خذوا، وبى اقتدوا، ولى اسمعوا وتحدثوا بصابتى بين الورى

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا سر أرق من النسيم، اذا سرى

.

وأباح بخرفى نظرة أملتها فغدوت معروفا وكنت منكرا

فدهشت بين جماله وجلاله وغدا لسان الحال عنى مخبرا

فأدر لحاظك فى محاسن وجهه تلقى جميع الحسن فيه مصورا

لو أن كل الحسن يكمل صورة ورآه كان مهللا ومكبرا :: . .

هامت فى دنيا أخرى.. حياة غير الحياة تحرك يدها اليمنى لأعلى نحو السماء تدعو الله ويدها اليسرى لأسفل لتعبر عن أن كل شئ بالدنيا دان ولا قيمة له.

إنتهت حلقة الذكر وتمنت أن لم تنتهى .. خرجت بشعور لم تجربه من قبل..

لذه لم تعهدها .. شعور أكبر من السعادة وأرق من الحب .. سلام داخلى لا يحظى به المرء سوى لحظات قليلة فى حياته ويا بخت قلبه من يعيشه دائما .

عـادت الى البيـت رفضـت تنـاول عشـاءها متعللـة بأنهـا تناولتـه مـع مـريم ثـم إختلـت بغرفتهـا.. أغلقـت البـاب ..فكـرت أن تتفقد المدونة قبل أن تشرع فيما تنتوى فعله .

إشـعار واحـد وجدتـه ضـغطت عليـه فقـرأت تعليقـه:: **زدنـى بفـرط الحـب فيـك تحـيرا وارحـم حشـى بلظـى هـواك تسـعرا::..**

تـذكرت هـذه الجملـة إذ سمعتهـا منـذ سـاعة فـى حلقـة الـذكر .. دهشـت أكثـر وتسـاءلت **هامسـة**:مـن هـذا الأحمـق أسـتغفرك ربـى وأتـوب اليـك وقبـل أن تغضـب أغلقـت المدونـة.. أزاحـت كـل مـا يعـترض خريقهـا وبـدأت بالـدوران تمامـا كمـا رأتهـم .. ظلـت تدور وتدور وتدور حتى سقطتت على الأرض.

بعد ستة أشهر. .

وجـدتها علـى مقربـة منهـا ،اقتربـت أكثـر فوجـدتها سـاهمة، عينهـا معلقـة بوجهـه .. لم تلتفـت ولـو للحظـة عنـه، كأنمـا تتشرب ملامحه وتسكبها بعقلها لتكون لها زادا فى غيابه.

.

منغمسة به عن أخرها تراقبه من بعيد وهو يقف مع علي ، تبحث فى وجهه عنها .. تطمئن على بقاء ولو شيئا ضئيلا من ذكراها معه.

وقبل أن تقترب منها أكثر وتناديها باسمها وجدتها تبكى بدون أن يرها أحد، نظرت لمن تبكيه وصدمت ، تسمرت هى الأخرى لا تفهم شيئا ، تابعتها حتى شعرت الأخرى بوجودها، التفتت فرأتها مبهوتة ، خافت من أن تكون فهمت شيئا وارتجف صوتها وقالت : حلم..لم أشعر بك، هل تقفى هنا منذ مدة؟.

وهى مأخذوة لا تفهم شيئا قالت : لماذا تبكين وتقفين هنا؟.

ردت وكأنما لم تسمعها : ألن تذهبى لعلي ليساعدك فى إنتشار المدونة كما خلبتى

منه ::

نظرت أمامها لعلى الواقف مع رامى بعيدا منشغلا بالحديث إليه فقالت : أراه منشغلا ولا أريد أن أرى رامى، استأذنت منها ورحلت.

كانت تقطع الطريق تفكر فيما رأته ، تساقطت دموعها هادئه ، تضحك سخرية لما يحدث ، ذكرها موقف اليوم بها يوم فعل بها عمر ما فعله ولكنها لم تدرى أنها هى التى أمالت قلب الحبيب عن حبيبته ، ولكنها لم تكن تعلم هذا قبل لحظات.

بعد أن هدأت قليلا، لمحت مسجدا قريبا فأخرجت الهاتف الذى لم يصمت لحظه ، كادت إتصالاتها تحطمه .. بعثت إليها برسالة تطمئنها ووعدتها أن تحدثها ليلا وتوجهت نحو المسجد .

علي محدثا يسرا : لم أعد أرى حلم كما فى السابق وإن صادفت ورأيتها تكون شاردة ولا تتحدث .

- كل الطرق أمامها مسدودة .. لم ترد أى مجلة على رسائلها والتفاعل على المدونة ليس كما تتمنى وهى أصبحت متوترة مما زاد الطين بلة .. صمتت قليلا ثم تابعت : ما أخبار رامى ؟.

عازف الكمان ؟!.

- نعم .

فهم ما تقصده : وهل تعرفيه ؟ .

صمتت قليلا تنظر الى موضع قدمها ثم أخرجت زفيرا حارا وقالت

- كل شئ واضح أمام الجميع .

علق على : يأتى لكى يراها ولكن دون أن تشعر، له كرامة توجعه على رفضها .

- لم أفهمها عندما رفضته تصورت أنها لا تحبه ولكن عرفت شخصيتها ،

تفكيرها مختلف، قالت يسرا.

ليس لنا دخل بهذا:: ، أنهى علي الحديث بهذه الكلمات فصمتت يسرا .::

توضأت وصلت ركعتين لتقوى على التحمل ..وبعد إنتهائها جلست قليلا تدعو الله وهى مغمضة العينين ثم توجهت لمكتبة صغيرة فى ركن من أركان المسجد حملت مصحفا وإختارت زاوية بعيدة

عن السيدات الجالسات.

شرعت تقرأ وتبكى حتى خشغت وهدأت ، إحتضنت كتاب

اللّه ،

رجعت برأسها للوراء تستند الجدار ، أغمضت عينها واستسلمت للنوم دون أن تشعر .

:: كانت تقف معه تحدثه .. عينها العاشقة تبتسم وقلبها منتشى بما حظى به اليوم، دقائق بجواره كانت كل ما يتمناه.

وهى منهمكة معه.. ارتفع صوت الأذان فأشارت نحو المسجد وهمت بالرحيل لتلبى نداء اللّه فأمسك يدها وهو يبتسم.. يريدها أن تبقى فنظرت نحو المسجد فتمسك أكثر بها فابتسمت وظلت بجانبه.. دقائق من السعادة وندهته أخرى فاستأذن منها لحظات وابتعد.

أخذت تتابعه .. ظنته سيرجع .. انتظرته يلتفت خلفه ولكنه لم يلتفت ولو لمرة.

بكت غيابه بحرقة وسارت مترنحة تلتفت الى الوراء علّه يرجع حتى اصطدمت بأحدهم.

مسح دمعها واحتضنها كطفلته واجلسها بجانبه حتى التهت به عن الأخر.. ارتفع صوت المؤذن مرة أخرى فنظرت اليه ثم جرت مبتعدة نحو المسجد .. توضأت ودخلت فى الصلاة وهى تفكر فيه ..:: هل سيرحل لأنى تركته وجئت أصلى ؟ هل سيظل مكانى بقلبه كما هو رغم بعدى؟ .. هل ؟ هل ؟ هل ؟.

انتهت من الصلاة ولكنها انتبهت أنها لم تصلى .
فتحت عينها تتأمل المكان .. أخذت بعض ثوانى لتتذكر أنها مازالت بالمسجد وما رأته لم يكن سوى حلم.

إستغفرت ربها وأمالت رأسها ثانية تفكر فيما حلمت به وعندما همت بالرحيل .. وقعت عينها على لوحة معلقة على الحائط ، مكتوب عليها بخط عريض
:: أجبت كل من يدعوك ولم تجبنى :: .
إستوقفتها العبارة.. تذكرت أنها قرأتها قبلا فجلست تفكر.
إستعادت ما فعلت بحياتها : خرقت كل الأبواب وعبرت كل

السبل ولم

أفكر في خريق الله .. تلهيت بالركض وراء حلمي ونسيت أن الله موجود ..

نعم أصلي وأقرأ القرآن ولكن ليس كما يجب .. هل أذكر متى أخر مرة

خشعت في الصلاة.. أخر مرة فعلت شيئا من أجله وحده؟ .. هل أذكر عدد الأشهر التي مرت دون أن أصلي الفجر .. دون أن أقدم مساعدة لأحد .. كثرت الأسئلة حتى جاء السؤال الأصعب : هل ضفت شيئا للحياة.

إزداد خجلها من نفسها إستغفرت ربها عن تقصيرها وأخرجت زفيرا حارا وقامت منهكة .

خرجت من قسم السيدات وقبل أن تواصل خريقها مبتعدة.. رأت عمر يخرج من جانب الرجال بعد أن أنهى صلاته .. تأملته وهو يرتدى حذاءه بهدوء وتبعته بعينها وهو يبتعد.

عادت لغرفتها بالمنزل بحثت فى كتبها عن كتاب تقرأه فوقعت عينها على كتاب ::رأيت الله:: لدكتور مصطفى محمود .. أخذت الكتاب بخوت الغلاف فرأت عبارة خطت من قبل على الصفحة الأولى :: **أجبت كل من يدعوك ولم تجبنى**:: تذكرت أنها كتبتها قبلا عندما قرأت الكتاب ولما تصفحته وقعت

قصاصة .. تناولتها..تذكرت أن بها جملة إستوقفتها أيضا عندما قرأته منذ مدة فجلست على الأرض تقرأ.

:: قف فى حضرتى لا لتسمع منى ولا لتعرف منى

ولا لأخاخبك وتخاخبى ، وإنما لأنظر إليك وتنظر

إلي .. فلا تزال فى هذا الموقف حتى أحادثك .

فإن حادثتك فابك على ما فاتك من خطابى فى غابر

عمرك ::

تسللت السكينة إلى روحها ، أخذت نفسا عميقا وجلست لتعيد قراءة الكتاب.

لم يطرق الباب حتى لا يزعجها وهى نائمة .. فتحه بحرص وببطئ أدخل نصف جسده ليتفقدها وهى نائمة .. لم يجدها ، جال بعينيه فى الغرفة حتى وجدها ساجدة فى زاوية من زوايا الغرفة .. إنتظرها لتفرغ من الصلاة ولكنها أخالت السجود.. وصله نحيبها المتقطع وسط سكون الغرفة.

ألقى الحزن بنفسه كاملا بين أضلعه.. لا يفهم سببا لما هى فيه ولكن ألمها يمزقه.. أغمض عينه داعيا لها بالهداية وتركها لمن هو أحن وأقرب إليها منه .

غلبه النوم رغم قلقه .. إستيقظ كعادته عند صلاة الفجر ، عرج عليها ليطمئن فوجدها على حالتها تصلى .. جلس بجوارها حتى إنتهت من الصلاة .

إقترب منها مسح على خديها بكفيه وإحتضنها حتى خال العناق وأكمل على روحها المنهكة سلفا فبكت فى صدره حتى أتعبها البكاء وإرتخت جميع حواسها واستسلمت لسلطان النوم .

رغم أن كلمة واحدة لم تقال بينهم إلا أنه شعر وكأنما إستعاد حالهما معا كما فى السابق .. قبلها وحملها إلى سريرها

.. قرأ عليها بعض من أيات القرآن وقام توضأ وصلى بجانبها وما إن إنتهى حتى جلس على كرسيه بجوار سريرها وأخذ يتأملها .

قامت من نومها ذى الساعات القليلة فوجدت خاولة على مكتبها عليها الإفطار وبجوارها ورقة عليها كلمتين :: صباح الخير :: .

إبتسمت وذهبت إلى أمها تسألها عن أمر الطاولة فأخبرتها أن أباها حضر لها الإفطار قبل مغادرته لعمله.

ابتسمت وتذكرت ما حدث فى ليلة الأمس و أسرعت نحو الهاتف وبعثت له برسالة :: صباح الورد

شعرت بجسدها متعبا فقررت البقاء فى المنزل لم ترد أن تراها اليوم أو أن تفكر فيما رأته البارحة.

تناولت إفطارها وجلست تتفقد المدونة الخاصة بها فوجدت كما تعودت جملة من هذا المجهول ولكنها لم تكن صوفية

هـذه المـرة :: يـا ليتـك تقـرر الاقـتراب هـذه المـرة:: ، وقبـل أن تعلـق لا حظـت إهتـزاز الهـاتف .. تناولتـه وردت بـوهن : مـريم علـى الجانـب الأخـر بصـوت مرتفـع وكأنهـا تصـرخ : حلـم تعـالى إلى الجامعة حالا .

بملل أجابت : إخفضى صوتك أسمعك جيدا .

- تعالى حالا .

ماذا تفعلى بالجامعة؟.

- ::مـا إن أغلـق الهـاتف حتـى أراك أمـامى:: ، لم تمهلـها فـى الـرد وأغلقت الهاتف.

إرتـدت ملابسـها مجـبرة حيـث تـذكرت أنهـا خلبـت منهـا مسـبقا مصاحبتها لشراء ملابس هذا اليوم .

دخلـت حـرم الجامعـة ومـا أن لمحـت مـريم حتـى أسـرعت إليهـا وأخذتها من يدها وأدخلتها.

إنتقلـت عينهـا المندهشـة بـين صـور كـثيرة إلتقطتهـا بالكـاميرا مسبقا .. الصور

معلقة ، ملأت جميع زوايا المعرض الكبير .

إلتفتت لمريم المبتسمة ونظرة إستفهام تبحث عن تفسير .

وصلها صوت عرفته ..فارقته .. إشتاقته وأصبح ضمن المنوعات.

إلتفتت نحوه وجدته صوت الكمان ذات الصوت الحانى الذى خالما عشقته يحمله رامى متوسطا المعرض فى مشهد أوبرالى لم تتخيل أن تشاهده أمامها.. حوله الطلاب يصورونه بهواتفهم النقالة .

لم تبعد عينها عنه متفاجئة إلا عندما أدارت مريم رأسها إلى باقى المعرض ، تناهى إليها جميع الكلمات التى تمنت أن تسمعها .. فنانة .. موهوبة .. هل رأيتى لها عملا من قبل .. هل تعرفوا لها حسابا على الإنترنت .. إنتهت الى علي الواقف فى زواية أخرى.. يوزع أوراق عليها عنوان مدونتها وبجانبه وجدتها تجلس على كرسي ملامحها منقبضة كما لم تراها من قبل، تتابعه ودموعها تسقط حيية بهدوء .

قالت ناردين وهى بجوارها : المعرض الوحيد الذى لم يرفضه الموظفون . ضحكت بسخريه وأكملت :لا علاقة له بالسياسة .

عادت بعينها إليها فوجدتها على حالها تبكى قلبها المنكسر

الذى يشاهد حبيبه يعزف لأخرى ثم التفتت إليه فوجدته يغمرها بعينيه .

إستمر الصمت بينهما يحمل نهرا من الكلمات .. من العتاب .. اللوم وكثير من الشوق .

شوق من جانب واحد .. شكته إنكسار صديقتها ، عاتبها قسوتها .. أسقطت أمامه قوتها التى تلاشت وهى ترى صديقتها تبكيه فتلقف ضعفها وأصبح هو السند ..هو الملجأ .. هو الوخن ولكن حتى الوخن يعاتب أبناءه .

قالت بعينها: تعاتبنى أم أعاتبك ولكنك لا تعرف بشأنه.. لما خال العتاب ، بكت غرابة ما يحدث يحبها وصديقتها تحبه وهى تحب غيره .

إبتسم فبكت .. رق أكثر فازدادت.. ترجتها عينه أن تكف وتقترب.

فلما تحول العاشق إلى أب يضعف أمام خفلته فرت بعيدا عنه حتى لا تفر إليه وتحول عينه التى لا ترى غيرها الى الأخرى الجالسة فى زاوية بعيدة ولكنها إن أدارت عينيه فهل لها أن

تحول قلبه .

خرجت لتستعيد بعضها الضائع .. كفكفت دمعها وعادت إليه .

فتشت عنه .. عن كمانه فلم تجده .. فتشت بعينها عنها فوجدت كرسيه خاليا..فتشت فى كل ركن ولم تجده .. وضعت مريم يدها على كتفها وقالت : لقد رحل .

خرجت مسرعة ..أوقفها إهتزاز الهاتف بيدها .. فتحته .. وصلتها رسالة ما إن فضتها حتى عادت للبكاء مرة أخرى .

:: متى ترسو سفينتك المهاجرة دائما وراء

سرب أحلامك المتحررة من كل القيود.

متى أسكنك ضلوعى حتى تشبع حرمانا

استوخن بها .. تطلبى الإبتعاد فأنغمس بك

وأبكى وجع إبتعادك كالطفل فتشفقى علي وتبقى

وكلما زادنى إنغماسى مرضا رفضت كل الأدوية

وأعلنت أن رائحة وجودك إدمانى .

أتفهم أحلامك فلم الرحيل؟ .

عـادت تبكـى :: يـا ليتـك كتبتهـا لهـا ولـيس لى:: قالتهـا وهـى تنتفض من شدة البكاء .

قالتها مريم مندهشة : ماذا تقولين ؟!.

كان الصمت سيد الموقف حتى نادتها يسرا : حلم.

فالتفتـت وجـدتها تحتضـنها وتمـد لهـا يـدها بهـا ورقـة وقالـت هـذه هـديتى إليـك.. فتحتهـا.. قـرأت مـا بهـا :: **عرفـت الهـوى مـذ عرفت هواك::.**

نظـرت إليهـا تتفحصـها وصـمتت خـويلا فنادتهـا يسـرا : حلـم أين ذهبتى؟.

هذه عبارة صوفية لماذا تعطيها لى ، قالتها بهدوء .

فتنهـدت وردت: علمنـى أحـدهم إذا أحببتـت أحـدا أن أهاديـه

دوما بالشعر الصوفى فهو أرقى هدية أهديها لمن أحب.

فاحتضنتها خويلا وخال العناق وسط دهشة يسرا ومريم وقالت : أحبك يسرا.

كانت تبكي حظها تردد جملة واحدة : هذا ما أستحقه.. تسترد ما فعلته لتنهي ما بينهما دون أن تشعر.. دون أن تدري أنها تخسر أهم ما أمتلكته في حياتها.

أضاعت قلبه بعدما حاول كثيرا ولم يجدها سندا .. بكت غباءها وهي تلومه علي تفكيره المستمر فيما أسمته التفاهات : الرسم ليست مهنة دائمة.. لن تكفل لك حياة مستقرة.. أحبك ولكن عليك أن تفكر في مستقبل ملائم.

ضحكت متحسرة: ملائم .. حدثت نفسها : وهل يلائمك الآن ما أنت به.. أنت غبية ولا تستحقيه أبدا.. كل ما تستحقيه ما أنت به .. تبكي وحيدة ولا تستطيعي اخبار أحدا مابك.

فتحت عينها بعد سماعها صوت رنين الهاتف .. التقطته .. وجدت اسمها.. كفكفت دموعها وأجابت: حلم.

قالت حذرة: يسرا.. أردت أن أخمئن عليك واشكرك علي هدية اليوم.

هدية!.

الشعر الصوفي الذي أعطيتني اياه .. سكتت قليلا ثم أكملت : يسرا أنت ملاكي.. تعرفي أني لن أؤذيك أبدا.

صمتت يسرا مندهشة ثم سألتها: لماذا تقولي هذا الكلام؟.

لا شئ فقط أردت قوله وقبل أن تسمع تعليقها حولت مسار الحديث : هل لك أن ترشحي لي كتابا عن الصوفية.. بما أن لك اهتمام بها.

صلت ركعتين ثم ذهبت لمكتب أبيها .. خرقت الباب تستأذن الدخول فلم يجيب أحد.

.

أمسكت المقبض.. أدارته ودخلت الغرفة فلم تجد أحدا.. توجهت نحو المكتبة ، وقفت أمامها تبحث عن كتاب رأته مع أبيها من قبل.

فتشت بعينها عنه حتى وجدته.. التقطته من بين أخوته

..قرأت العنوان بصوت خافت :: بحار الحب عند الصوفية ::

..إتسمت ابتسامة رضا وعادت به لغرفتها

:: وقفة أمام صورة :: ، بدأت تقرأ.. جذبها الكتاب بفلسفته وإحساس أنها ستتعرف أكثر على عالم تحب أهله وليست منهم ثم توقفت تتأمل العبارة.

:: تأملهما كليهما.. البحر والبر..

ألا ترى فيهما شبها غريبا لشئ مستقر فى نفسك .

مثلما يجف هذا المحيط المهول بهذا البر الأخضر .. كذلك تنطوى روح الانسان على جزيرة حافلة بالسلام والبهجة..

جزيرة تحيطها مرعبات هذه الحياة الغامضة المروعة

رعاك الله .. لا تغادر تلك الجزيرة فان غادرتها فلن تعود اليها أبدا ::..

نامت هذه الليلة كما لم تنم من قبل وحظيت بحلم جميل .

قبل الغروب بقليل قامت ترى الجديد بالمدونة ، وجدت

عددا من الملاحظات لم تحظى به من قبل ، ضغطت عليها فوجدت أحدهم ترك علامة إعجابه على كم لا بأس به من صورها المرفوعة .

دخلت إلى حسابه الشخصى وما أن وقعت عينها على مهنته حتى كاد قلبها يقف من المفاجأه .. رجعت بسرعة إلى الملاحظات الخاصة بها تبحث عن تعليق له على إحدى الصور حتى نالت ما أرادت ، وجدت الإشارة .. فتحتها وقرأت ما كتبه .. وقفت تضحك بصوت عال : أمانع وكررتها مرات ،كيف أمانع .

أعادت قرآة تعليقه : أنا عبد الله محمود مصور فوتوغرافيا محترف .. موهوبة أنتى حقا .. سأتحدث مع رئيسى بالعمل عنك اليوم إن كنت لا تمانعين.

قفزت فى أرجاء الغرفة وقالت بصوت عال: الحمد لله.. أنت هديتى من السماء.

رجعت إلى لوحة المفاتيح وأجابت بسرعة : خبعا موافقة.

فتح باب الغرفة.. سألتها بوجهها المندهش وعينها المفتوحة على إتساعها : ما بك يا حلم .. هل حدث شئ؟.

إندفعت نحوها .. أخذت تقبلها وتحتضنها وتقول : أخيرا يا أمى أخيرا.

أخذت أمها من يدها تراقصها وتدور وهى تضحك حتى وقعت عينها عليه وعلى عينه المشتعلة.

تعلم أنى لا أتحمل مثل هذه النظرة وهذه الإبتسامة تذيب قلبى وتلقى بعقلى بين يديك وما تعودت على عقلى ضعيفا هكذا .. ستجعله يتمرد ذات يوم ويستعذب السقوط لتتلقفه يدك.

لم يحول عينيه عنها وإبتسامته آخذة فى الإتساع.

ضحكت وأدارت وجهها : ما بك اليوم ؟!.

- أتأملك ..ألا يحق لى .

إبتسمت وحجبت وجهها بيديها عنه خجلى : يحق لك ولكن

قلبى لا يتحمل

سأتعود وإن تعودت .. أصبحت إدمانى .

رد مبتسما : إذن أدمني وسأحجب عندى الدواء حتى تهجرى كل شئ وتسكنينى .

وعندما أسكنك وتطيب لى السكنى وترحل .. ماذا أفعل؟.

غضب وقال : ومن أتى بذكر الرحيل .

مر بنا الكثير ولم تزل تخشى ذكره .. تخشاه رغم يقينك أنى أمزح ..

روحى معلقه بك .. مرهونة بجوارك .. مهما فات الزمن وخفت بيننا

الحب سأظل إلى جانبك ..ذابت أقدارنا ببعضها حتى أصبحنا واحدا .. إن يوما مر بحبنا الفتور سنحتمى بصداقتنا ، بأبوتك لى وبنوتى إليك .

اقتربت منه أكثر ووضعت وجهه بين كفيها وتابعت:

سأحتمى بك مهما مر بنا ولكن قل لى : ما بك اليوم ، هل هذا قلق مما سيحدث هذا المساء.

ابتسم :لا .. تذكرت أنى ما كنت لأصل لهذا اليوم لو لم أجدك . . أردت إخالة النظر إليك لأرى سنواتى الراحلة بجانبك.. يدك التى ما تعبت من إمساكها بيدي .

وهل ما أنا به سوى هدية ربى وهديتك إلي .. لن أنسى أنك وحدك آمنت بى كما لم يؤمن بى أحد.. لا تقلق فاليوم سيكون لنا .. يوم أحلامنا.

...

قام فجأة جذبها من يدها .. هيا بنا ..

- إلى أين ؟.

ستعرفى .

- إلى أين .. لم يعد أمامنا سوى ساعات قليلة .

إبتسم وجذبها ستعرفى .

إندهشت فاليوم جن على غير عادته .

أمسك يدها ونزل بها الدرج مسرعا.. ركب دراجته النارية وهى تنظر إليه مندهشة تنتظر تفسير.

نظر إليها وضحك على ترقبها وقال : إركبى ورائى .

- إلى أين؟ .

جذبها وأجلسها وأنطلق : ماذا تريدىن أن تفعلى اليوم؟ .

- ماذا أفعل؟! .. من المفترض أن أجهز نفسى للمساء .

أنت جميلة كما أنت .

إبتسمت وضربته على كتفه ضربة خفيفة وقالت : فى عينك أنت فقط.

- سنذهب للملاهى .

صرخت .. ملاهى ! أجننت أنت .

علا صوته وزاد من سرعته فتمسكت به وقال : نعم .. هل تمانعين؟ .

سكتت غير مصدقة لتستوعب الموقف ثم راق لها جنونه ..ضحكت وتمسكت به أكثر : مجنووون ولكن أحبك .

إمتزجت ضحكاتهم فى الطريق وفى مدينة الملاهى .. كان يضحك كلما سمع صراخها بجواره .. تصرخ وتضحك كالأخفال.. دائما كانت لحظات جنونه ترد إليها خفولتها فتصبح أصغر من خفلتهم.

فقدت هيئتها الجادة وتلبستها هيستيريا الضحك كلما نظرت اليه تضحك ..كان يضرب كفا بكف وهو يضحك من هيأتها : أجننتى أنت؟!.

كانت ترد عليه كل مرة وهى تشاكسه : جننت بك يا سيدى.

وقف أمام دراجته يسألها : إستمتعى اليوم؟ .

فكانت الإجابة واضحة ببريق عينيها وإبتسامتها الواسعة فقبلته

على خده بسرعة وصعدت على الدراجة .

وقف يتلفت حوله ثم نظر إليها مندهشا : فى الشارع؟ .

إبتسمت : وهل لا يحق لى؟! .

ضحك من خفولتها وقال والله أشك أنك أصغر من مريم أحيانا .

قالت وهى تغازله : أحيانا فقط .

ضحك : أحيانا كثيرة ثم ركب دراجته وانطلق .

تمسكت به وشبكت أصابعها وإقتربت من ظهره .

قال : نحن فى الطريق .

- أريد لو أحتضنك الآن .

لا أرجوكى أجليها وإلا سنقضى الليلة فى القسم.

إترك مريم لى واستعد للمساء:: ، إبنتك تتنظرنا .::

- أمامنا ساعتين .. إتركينى ألاعبها قليلا .

منذ مجيئها وأنت تجلس بجوارها تلاعبها .. إتركها قليلا وقم تحضر .

قبل حفيدته وحملها على ذراعه وقال : سآخذها معى..

دخل الغرفة ، أجلسها .. على السرير يداعبها وهو يكمل ملبسه .

وقفت زوجته تنظر إليهم مستنده على باب الغرفة ، تضحك تعلقه بحفيدته .

تشابكت أيديهم وأخذا نفسا عميقا وإقترب كل منهم من الآخر مخالبا دعمه .

دخلا وما إن رآهم حتى إقترب منهم وقال: كل شئ سيصبح جاهزا فى حدود الساعة السابعة .

وقفا يتأكدان من جاهزية كل شئ.. بعد حوالى ساعة بدأ قدوم الزوار .. ساعة أخرى و امتلأ المكان عن أخره

دخلت مريم مسرعة تتمنى ألا تعاتبها على تأخرها ..رأتها فى جانب تجلس على كرسي وهو بالجانب الأيسر يشرح مغزى لوحاته لبعض الشباب .

إقتربت منها .. ضحكت عندما رأتها تنظر لها نظرة عتاب على تأخرها ..

قبلتها واحتضنتها فضربتها الأخرى ضربة خفيفة على ظهرها .

مريم : أسفة على التأخير .. المعرض رائع لو حلم كانت هنا كانت ستفرح كثيرا بالنجاح الذى وصل إليه.

إحتضنتها مرة أخرى بعد سماع كلاماتها الأخيرة وقالت : الحمد لله.

إستأذن من الزوار الواقفين أمام لوحاته وذهب إليهم ليرحب بمريم .

إقترب منهم رجل برفقته شابين فالتفت إليه رامى ، ما إن رآه حتى إبتسم وصافحه ثم تقدمت يسرا تصافحه هى

الأخرى .

قدمه رامى لمريم : أستاذ راضى عطا مقدم برامج بقناة مشهورة مهتمة بالفنون.

حيته فرد التحية وتوجه مع رامى نحو لوحاته.

سألتها يسرا عندما رحل زوجها: تحدثتى مع حلم مؤخرا؟.. لم أحدثها بعد سفرها.. إنشغلت أنا ورامى فى التحضير للمعرض.

ردت مريم : حدثتها منذ يومين وهى فى تنزانيا كان أخر يوم تصوير لها هناك ووعدتنى أنها ستتصل بى حينما تسنح لها الفرصة بعد وصولها لأسبانيا.

إبتسمت يسرا: لم أصدق عندما اتصلت بى وهى تصرخ وتخبرنى أنها فازت بالمسابقة والقناة ستتكلف بجلستين التصوير فى تنزانيا وأسبانيا وستقيم معرضها هناك.

إبتسمت هى الأخرى : أخيرا حققت حلمها.

إنخفض صوتها وتابعت يسرا : ماذا عن عمر هل مازال ينتظر؟.

فاتت سنوات خويلة ولكنه مصمم أنها له وحده.. هذا الأحمق من أقنع والدها بأحقيتها فى السفر لتحقيق حلمها، صمتت قليلا ثم تابعت: أوقن أنها تحبه ولكن.
ركبت الطائرة بعد يوم كامل من التدريب على إستعمال :: الباراشوت:: أثناء القفز من الطائرة .. لطالما تمنت أن تمارس رياضة السقوط الحر بالمظلات من الطائرة .. تحمست ..أخذت نفسا عميقا وهى تضحك: أخيرا سأحقق حلما أخر وسأخير فى سماء أسبانيا .
كانت تفكر فى حديث مريم قبل يومين : ألن تخبرينى كيف عرفتى أن يسرا هى الحب الأول لرامى.. مرت خمسة سنوات على الأمر ولا تريدى إخبارى .. تذكرت عندما عرفت بالأمر وأخبرت يسرا أنها تعلم بحبها لرامى فبكت الأخرى وانهارت عندما احتضنتها وأخذت تربت على كتفها

فهى أكثر من سيشعر بوجيعتها .. كانت تظن أنه حب من خرف واحد نشأ فى الخفاء وسيخفت ويحتضر فيه أيضا.

صدمت عندما عرفت أن يسرا ما هى إلا بطلة لوحات رامى الراحلة .. ماكانت لتصدق فلم يظهر عليه أى علامة أنه عرفها يوما.

قصت عليها يسرا كيف أضاعته ، كيف لم تقف بجواره ولم تتفهمه .. كان الرسم حياته وعندما إستخفت به تسلل الجمود والألم إلى مدينتهم حتى تهدمت بأكملها.

لم تتوقع أن يسرا التى كانت داعما لها من اللحظة الأولى ..بساخها السحرى الذى ينقلها دون خطوة إلى عالم أحلامها، هى من جعلت رامى يهجر حلمه .. علمت أن وقوفها الدائم بجانبها وحثها أن تتمسك بحلمها وليد شعورها بالذنب تجاه حبيبا سلبت منه حلمه بعدم تفهمها.

كم بكت يسرا غباءها وإفتقادها إياه .. كلماتها كانت اقرب الي الهذيان.. كلمات من أوقعهم الشوق في شراكه بعد فوات

الأوان.

قصت عليها كيف حولت حبهم الي سراب : لم أهتم يوما بأكثر شئ أحبه.. كلما حدثني عن أحلامه المتعلقة بالرسم.. كم يرغب أن يصبح رساما عالميا، زادت لامبالاتي كنت أترك كلامه يمر مرور الكرام بدلا من أن أشجعه.

كنت بطلة لوحاته ولم افهم أنه بذلك يريدني بشدة أن أنغمس معه في أحلامه.. يريدني أن أصبح أول مشجعة .. أول جمهور يثق في قدرته علي أنه سيحقق ما يريد.. ولكن جمهوره هجر مرسمه وخذله من اللحظة الأولي.. لم يهتم سوا بما يريده ويضمن له مستقبل آخر .. بكت أكثر وهي تكمل : أهملت أحلامه حتي وأدت مستقبلي قبل أن يولد.. ما عرفت أن مستقبلي لن يكون الا به.. بعيوبه.. مميزاته.. أحلامه وحتي تفاهاته.. لم أنغمس سوا بما اردت فخسرت كل شئ.. يا ليتنى لم أفعل .. يا ليته عاقبنى ثم بقي.

لم أعرف كم أحبه الا عندما ترك يدي وغادرني.. لم أعرف أنه متوغل بحياتي بهذا القدر الا عندما رحل.. كم بكيت وانا أري عينه التي خالما عشقتني أضحت بهذا البرود.. أحترق وأنا أراه يلاحقك بعدما كان لي وحدي.

تبسمت حلم لأن الأوان لم يكن قد فات كما ظنت .. إسترجعت صورة بسمتها الواسعة وضحكاتها مع كل من يقف بجوارها يوم زفافها وهى بجانب رامى ممسكة بيده فردت على مريم المتلهفة لمعرفة كيف علمت ، ردا جعلها تلح عليها أكثر فقالت : أعتبريه السر الأول والأخير الذى سأخباه عليك.

فردت بعدما تعبت من الإلحاح : كما تريدين ولكن هل فكرتى بعمر؟.

نبهها قائد المجموعة أن دورها قد حان فى القفز .. تعالت ضربات قلبها بقوة ..كانت تبتسم إبتسامة واسعة وأنفاسها ملاحقة ..نطقت الشهادتين وسقطتت لتحتضن سماء أسبانيا الزرقاء وتضحك كما لم تضحك من قبل.

البداية

إسراء أبوعاصى